

التساؤلات التفسيرية وأجوبتها في تفسير (الجامع لعلم القرآن) لأبي

الحسن الرماني (نماذج من سورة الإسراء) جمعاً ودراسة

د/ أميمة صفوت أبو السعود(*)

الملخص:

قد جاءت الدراسة من خلال ما يلي : مقدمة، عرضت من خلالها لأهمية الموضوع وسبب اختياره، مع الإشارة إلى الدراسات السابقة، مع بيان المنهج الذي اعتمدت عليه في هذا البحث. ثم تمهيد، ويشتمل على اسمه وكنيته ومولده وشيوخه وتلاميذه ومؤلفاته وعقيدته ووفاته. ثم عرضت أيضاً من خلال هذا التمهيد لتعريف بعض المصطلحات الخاصة بعنوان البحث، مثل تعريف التساؤل لغةً واصطلاحاً، وكذلك الجواب، وأيضاً التفسير. ثم جاء المبحث الأول بعنوان: منهج الرماني في تفسيره من خلال سورة الإسراء، وضحت من خلاله أهم ملامح هذا المنهج من خلال عدة عناصر. ثم كان المبحث الثاني بعنوان: نماذج من التساؤلات التفسيرية في سورة الإسراء، تناولت من خلاله دراسة بعض النماذج التي أوردها أبو الحسن الرماني في تفسير سورة الإسراء. ثم أعقب ذلك بالخاتمة، لأوضح من خلالها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة، مع ذكر التوصيات. وأخيراً قائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في هذه الدراسة. معتمدة في كل ذلك على المنهج الاستقرائي والتحليلي، مع المقارنة كلما أمكن ذلك في كثير من المواضع.

الكلمات المفتاحية : التساؤل - الجواب - الرماني - تفسير - منهج

Abstract :

The study came through the following:

An introduction, in which I presented the importance of the topic and the reason for choosing it, with reference to previous studies, and an explanation of the method I relied on in this research.

Then a preface, which includes his name, surname, birth, elders, students, writings, belief, and death. Then, through this introduction, I also presented the definition of some terms specific to the title of the research, such as the definition of the question linguistically and terminologically, as well as the answer, and also the interpretation.

Then the first section was entitled: Al-Rummani's approach to his interpretation of Surat Al-Isra, through which the most important features of this approach were clarified through several elements

Then the second section was entitled: Examples of interpretive questions in Surat Al-Isra, through which I studied some of the models mentioned by Abu Al-Hasan Al-Rummani in interpreting Surat Al-Isra.

Then I follow this with a conclusion, in which I explain the most important results that I reached through this study, and mention the recommendations.

Finally, a list of the sources and references that were relied upon in this study. All of this is based on the inductive and analytical approach, with comparison whenever possible in many places.

key words : Question - Answer - Al-Rumani - Interpretation - Meth

(*) مدرس بقسم الدراسات الإسلامية كلية الآداب جامعة المنيا.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، حمداً لا ينبغي إلا لجلال وجهه وعظيم سلطانه ، والصلاة والسلام على خير الخلق ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ،

فلا ريب ، أن هناك محاولات جادة وكثيرة ، قام بها الباحثون في علم التفسير ، سواء من خلال دراسة المفسرين ومناهجهم ، أو دراسة كتب التفسير ، بما تشتمل عليه من قضايا تفسيرية مختلفة .

ولا شك ، أن هذه المحاولات أضافت إلى المكتبة الإسلامية الكثير والكثير في مجال العلوم الإسلامية بوجه عام ، وعلم التفسير بوجه خاص .

أهمية الموضوع وسبب اختياره :

لأهمية علم التفسير ، حاولت من خلال هذه الدراسة أن ألقى الضوء على تفسير (الجامع لعلم القرآن) لأبي الحسن الرماني ، من خلال سورة الإسراء ، فهذا التفسير وإن كان مغموراً ، لا يعرفه الكثيرون ، إلا أنه يمثل - في اعتقادي - إضافة لهذه المحاولات التي أشرت إليها .

صحيح ، أن هذا التفسير غير مكتمل ؛ إذ لا يشتمل إلا على بعض السور في القرآن الكريم ، بيد أن هذا لا يحول دون دراسته ، بل قد يكون ذلك دافعاً وسبباً إلى دراسته .

والواقع ، من يتحرى البحث في التراث الإسلامي ، يجد أن هناك بعض المؤلفات في شتى العلوم والمعارف ، لم يتناولها أحد من الباحثين ، ربما لعدم شهرتها ، أو لصعوبة الحصول عليها ... إلى غير ذلك من الأسباب .

والحق يقال : إنه أثناء بحثي في المكتبة الإسلامية ، وجدت هذا التفسير ، بيد أن الدراسات التي تناولته قليلة ، مثل :

الامام الرماني وجهوده في عرض القراءات المتواترة من خلال سورة (آل عمران) من الآية ٥٥ إلى نهاية السورة - جمعاً ودراسة . د / أحمد فتحي محمد - الجامعة القاسمية - الشارقة -

الإمارات - حولية كلية أصول الدين بالقاهرة العدد ٣٧ سنة ٢٠٢٣ م

لذا رأيت أن أشارك أو أسهم في دراسته من زاوية مختلفة عن هذه الدراسة من خلال سورة الإسراء ، للكشف عن هذه الشخصية في التراث الإسلامي ، وهذا الكتاب الذي يمثل - في ظني - إضافة للمكتبة العربية والإسلامية.

وقد جاءت الدراسة من خلال ما يلي:

مقدمة، عرضت من خلالها لأهمية الموضوع وسبب اختياره، مع الإشارة إلى الدراسات السابقة، مع بيان المنهج الذي اعتمدت عليه في هذا البحث.

ثم تمهيد ، ويشتمل على اسمه وكنيته ومولده وشيوخه وتلاميذه ومؤلفاته وعقيدته ووفاته . ثم عرضت أيضاً من خلال هذا التمهيد لتعريف بعض المصطلحات الخاصة بعنوان البحث ، مثل تعريف التساؤل لغةً واصطلاحاً ، وكذلك الجواب ، وأيضاً التفسير .

ثم جاء المبحث الأول بعنوان : منهج الرماني في تفسيره من خلال سورة الإسراء ، وضحت من خلاله أهم ملامح هذا المنهج من خلال عدة عناصر .

ثم كان المبحث الثاني بعنوان: نماذج من التساؤلات التفسيرية في سورة الإسراء، تناولت من خلاله دراسة بعض النماذج التي أوردها أبو الحسن الرماني في تفسير سورة الإسراء.

ثم كانت الخاتمة، لأوضح من خلالها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة، مع ذكر التوصيات.

وأخيراً قائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في هذه الدراسة. معتمدة في كل ذلك على المنهج الاستقرائي والتحليلي، مع المقارنة كلما أمكن ذلك في كثير من المواضع.

وختاماً ، أرجو من الله سبحانه وتعالى أن يكون هذا العمل إضافة ولو يسيرة لكل المحاولات التي اهتمت بعلم التفسير ، فإن كان ذلك كذلك فله الحمد والمنة ، وإن جانبني الصواب ، فحسبي شرف المحاولة .

تمهيد ، ويشتمل على :**اسمه**

علي بن عيسى بن علي بن عبد الله الرماني، ^(١) بضم الراء وتشديد الميم وفي آخرها نون بعد الألف، هذه النسبة إلى الرمان وبيعه، اضافة إلى وجود قصر معروف يقال له قصر الرمان ^(٢) ، والرماني مفسر، من كبار النحاة . ^(٣)

كنيته

كان يكنى بأبي الحسن ^(٤) وَكَانَ يَعْرِفُ أَيْضًا بِالْإِخْشِيدِي وَالْوَرَّاقِ، وَهُوَ بِالرَّمَانِي أَشْهُرَ. ^(٥)

مولده

ولد علي بن عيسى الرماني في سنة ست وتسعين ومائتين. ^(٦) ، وقال السيوطي في بغية الوعاة :
ولد سنة ست وسبعين ومائتين ^(٧) ، أصله من سامراء، ومولده ببغداد . ^(٨)

شيوخه

روى عن الزجاج ^(٩) ، وأبي بكر ابن دريد ، وأبي بكر بن السراج ، وغيرهما. ^(١٠)

تلاميذه

روى عنه أَبُو الْقَاسِمِ التَّنُوخِيُّ، وَالْجَوْهَرِيُّ، وَهَلَالُ بْنُ الْمُحَسِّنِ. ^(١١)

مؤلفاته

له نحو مئة مصنف، منها الأكوان " و " المعلوم والمجول " و " الأسماء والصفات " و " صنفه الاستدلال " في الاعتزال، سبعة مجلدات، وكتاب " التفسير " (الجامع لعلم القرآن) و " شرح أصول

(١) انظر ترجمته في تاريخ بغداد : ١٣ / ٤٦٢، نزهة الألباء : ص ٢٣٣ ، وفيات الأعيان : ٣ / ٢٩٩ ، سير أعلام النبلاء : ١٦ / ٥٣٣ ، بغية الوعاة :

١٨٠ / ٢ ، الأعلام : ٤ / ٣١٧

(٢) الأنساب للسمعاني : ٣ / ٨٩ ، وانظر : وفيات الأعيان : ٣ / ٢٩٩

(٣) انظر : تاريخ بغداد : ١٣ / ٤٦٢، نزهة الألباء : ص ٢٣٤ ، وفيات الأعيان : ٣ / ٢٩٩ ، سير أعلام النبلاء : ١٦ / ٥٣٣ ، بغية الوعاة : ٢ / ١٨٠ -

١٨١ ، الأعلام : ٤ / ٣١٧

(٤) تاريخ بغداد : ١٣ / ٤٦٢، نزهة الألباء : ص ٢٣٣ ، وفيات الأعيان : ٣ / ٢٩٩ ، سير أعلام النبلاء : ١٦ / ٥٣٣ ، بغية الوعاة : ٢ / ١٨٠ ، الأعلام

: ٤ / ٣١٧

(٥) بغية الوعاة : ٢ / ١٨٠

(٦) تاريخ بغداد : ١٣ / ٤٦٢، الأنساب : ٣ / ٨٩ ، نزهة الألباء : ص ٢٣٤ - ٢٣٥ ، وفيات الأعيان : ٣ / ٢٩٩ ، الأعلام : ٤ / ٣١٧

(٧) بغية الوعاة : ٢ / ١٨٠

(٨) الأعلام : ٤ / ٣١٧

(٩) سير أعلام النبلاء : ١٦ / ٥٣٤ ، بغية الوعاة : ٢ / ١٨٠

(١٠) الأنساب : ٣ / ٨٩ ، نزهة الألباء : ص ٢٣٤ ، وفيات الأعيان : ٣ / ٢٩٩ ، سير أعلام النبلاء : ١٦ / ٥٣٤ ، بغية الوعاة : ٢ / ١٨٠

(١١) تاريخ بغداد : ١٣ / ٤٦٢، الأنساب : ٣ / ٨٩ ، نزهة الألباء : ص ٢٣٤ ، وفيات الأعيان : ٣ / ٢٩٩ ، سير أعلام النبلاء : ١٦ / ٥٣٤

ابن السراج " و " شرح سيبويه " و " معاني الحروف " رسالة صغيرة، لعلها المسماة " منازل الحروف " و " النكت في إعجاز القرآن " (١٢)

عقيدته

كان أبو الحسن الرماني معتزلياً^(١٣) ، وهو ما سنوضحه بالأمثلة في تضاعيف هذا البحث .

وفاته

توفي أبو الحسن الرماني في سنة أربع وثمانين وثلاث مائة^(١٤) ومات ببغداد^(١٥).

التعريفات الخاصة بعنوان البحث

تعريف التساؤل لغة

(سأل) السين والهمزة واللام كلمة واحدة، يقال سأل يسأل سؤالاً ومسألة ، ورجل سؤلة: كثير السؤال . (١٦)

و(السؤل) ما يسأله الإنسان وقرئ: قال تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى﴾ [طه : ٣٦] بالهمز وبغيره. و (سأله) الشيء وسأله عن الشيء (سؤالاً) و (مسألة) وقوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج : ١] أي عن عذاب واقع. قال الأخفش: يقال: خرجنا نسأل عن فلان وبفلان. وقد تخفف همزته فيقال: سأل يسأل ، والأمر منه سل ومن الأول اسأل. و (تساءلوا) سأل بعضهم بعضاً^(١٧).

وسأل: سأل يسأل سؤالاً ومسألة وتسألأ ومسألة ، وسألته عن الشيء: استخبرته، قال: ومن لم يهمز جعله مثل خاف، يقول: سلته أساله فهو مسول ، مثل خفته أخافه فهو مخوف، قال: وأصله الواو بدليل قولهم في هذه اللغة هما يتساولان. وفي الحديث: (أعظم المسلمين في المسلمين جرماً من سأل عن أمر لم يحرم فحرم على الناس من أجل مسألته)^(١٨)، وقيل: هو سؤال الناس

(١٢) (الأعلام للزركلي : ٣١٧/٤ ، وانظر : نزهة الألباء : ص ٢٣٤ ، سير أعلام النبلاء : ٥٣٤/١٦ ، بغية الوعاة : ١٨١/٢)

(١٣) سير أعلام النبلاء : ٥٣٣/١٦ ، بغية الوعاة : ١٨٠/٢ ، الأعلام : ٣١٧/٤

(١٤) تاريخ بغداد : ٤٦٣/ ١٣ ، الأنساب : ٨٩ / ٣ ، نزهة الألباء ص ٢٣٥ ، سير أعلام النبلاء : ٥٣٤/ ١٦ ، بغية الوعاة : ١٨١/٢

(١٥) سير أعلام النبلاء : ٥٣٤ / ١٦ ، الأعلام للزركلي : ٣١٧/٤

(١٦) معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ١٢٤/٣ - كتاب السين - باب السين والهمزة وما يثلاثهما - مادة سأل ، وانظر مجمل اللغة لابن فارس

: ٤٨٢/٢ كتاب السين - باب السين والألف وما يثلاثهما - مادة سأل

(١٧) مختار الصحاح : ص ١١٩ - باب السين - مادة سأل

(١٨) أخرجه البخاري - صحيح البخاري - كتاب الاعتصام - باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه ٩/٩٥ - حديث رقم ٧٢٨٩

، ومسلم - صحيح مسلم - كتاب الفضائل - باب توقيره - ﷺ - وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه ، أو لا يتعلق به تكليف وما لا يقع ، ونحو

ذلك ١٨٣١/٤ - حديث رقم ٢٣٥٨

أموالهم من غير حاجة. ورجل سؤلة: كثير السؤال. والفقير يسمى سائلاً ، وفي الحديث: (للسائل حق وإن جاء على فرس) ^(١٩)؛ السائل: الطالب . ^(٢٠)

تعريف التساؤل اصطلاحاً

التساؤل هو أن يسأل بعضهم بعضاً كالتقابل، وقد يستعمل أيضاً في أن يتحدثوا به، وإن لم يكن من بعضهم لبعض سؤال، قال تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الطُّور : ٢٥] وقال تعالى: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ الْمُضْذِقِينَ ﴿ [الصَّافَّات : ٥١ - ٥٢] فهذا يدل على معنى التحدث فيكون معنى الكلام عم يتحدثون، وهذا قول الفراء. ^(٢١)

وعرفه الدكتور محمد سيد طنطاوي حيث قال: والتساؤل: تفاعل من السؤال، بمعنى أن يسأل بعض الناس بعضاً عن أمر معين، على سبيل معرفة وجه الحق فيه، أو على سبيل التهكم. ^(٢٢)

الجواب لغة :

قال ابن فارس: هو مراجعة الكلام، يقال كلمه فأجابه جواباً، وقد تجاوبا مجاوبة ، والمجابه: الجواب. ^(٢٣)

و(أجابه) و (أجاب) عن سؤاله والمصدر (الإجابة) والاسم (الجابة) كالطاعة والطاقة. و(الإجابة) و (الاستجابة) بمعنى ومنه (استجاب) الله دعاءه. و (المجاوبة) و (التجاوب) التحوار. ^(٢٤)

وقال ابن منظور : في أسماء الله المجيب، وهو الذي يقابل الدعاء والسؤال بالعتاء والقبول، سبحانه وتعالى، وهو اسم فاعل من أجاب يجيب. والجواب، معروف: رديد الكلام، والفعل: أجاب يجيب. قال الله تعالى: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ [البَقَرَة : من الآية ١٨٦] ^(٢٥)

وجواب القول قد يتضمن تقريره ، نحو نعم إذا كان جواباً لقوله هل كان كذا ونحوه ، وقد يتضمن إبطاله والجمع أجوبة وجوابات ، ولا يسمى جواباً إلا بعد طلب ، وأجابه إجابة وأجاب قوله واستجاب له ، إذا دعاه إلى شيء فأطاع . ^(٢٦)

^(١٩) أخرجه الألباني - سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ٥٥٨/٣ - حديث رقم ١٣٧٨ ، قال الألباني : ضعيف

^(٢٠) لسان العرب : ٣١٨/١١ - ٣١٩ ، مادة سأل

^(٢١) مفاتيح الغيب للرازي : ٤/٣١ ، الباب في علوم الكتاب : ٩٢/٢٠

^(٢٢) التفسير الوسيط لطنطاوي : ٢٤٧/١٥

^(٢٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ٤٩١/١ - كتاب الجيم - باب الجيم والواو وما يثلثهما - مادة جوب

^(٢٤) مختار الصحاح : ص ٤٩ - مادة جوب باب الجيم

^(٢٥) لسان العرب : ٢٨٣/١ - مادة جوب

^(٢٦) المصباح المنير : ١١٣/١ - كتاب الجيم - الجيم والواو وما يثلثهما - مادة جوب

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- إبريل ٢٠٢٤م

قال السيوطي في الإتيان : الأصل في الجواب أن يكون مطابقاً للسؤال ، إذا كان السؤال متوجّهاً ، وقد يُعدّل في الجواب عما يقتضيه السؤال ، تنبيهاً على أنه كان من حقّ السؤال أن يكون كذلك . ويُسمّيه السكاكبي: الأسلوب الحكيم.

وقد يجيء الجواب أعمّ من السؤال للحاجة إليه في السؤال ، وقد يجيء أنقص لأقتضاء الحال ذلك.

قيل: أصل الجواب أن يُعاد فيه نفس السؤال . والأصل في الجواب أن يكون مُشاكلاً للسؤال، فإن كان جملةً اسميةً فينبغي أن يكون الجواب كذلك. (٢٧)

التفسير لغة :

قال ابن فارس : الفاء والسين والراء كلمة واحدة ، تدل على بيان شيء وإيضاحه، ومن ذلك الفسر، يقال: فسرت الشيء وفسرته. والفسر والتفسر: نظر الطبيب إلى الماء وحكمه فيه. (٢٨) والفسر: كشف المغطى، والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل. (٢٩)

التفسير اصطلاحاً:

عرفه الزركشي حيث قال : " عِلْمٌ يُعْرَفُ بِهِ فَهْمُ كِتَابِ اللَّهِ ، الْمُنَزَّلِ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَبَيَانُ مَعَانِيهِ وَاسْتِخْرَاجُ أَحْكَامِهِ وَحُكْمِهِ ، وَاسْتِمْدَادُ ذَلِكَ مِنْ عِلْمِ اللُّغَةِ وَالنَّحْوِ وَالتَّصْرِيفِ وَعِلْمِ الْبَيَانِ وَأُصُولِ الْفَقْهِ وَالْقِرَاءَاتِ ، وَيَحْتَاجُ لِمَعْرِفَةِ أَسْبَابِ النُّزُولِ وَالنَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ " . (٣٠)

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: التَّفْسِيرُ فِي الْإِصْطِلَاحِ : "علم نزول الآيات وشؤونها وأقاصيصها، والأسباب النازلة فيها ثم ترتيب مكيّتها ومدنيّتها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصّها وعامّها، ومطلقها ومقيّدّها، ومجملها ومفسّرها، وحلالها وحرامها ووعدّها ووعدّها، وأمرها ونهيها، وعبرها وأمثالها " . (٣١)

وعرفه الشيخ عبدالعظيم الزرقاني حيث قال : "علم يبحث فيه عن القرآن الكريم ، من حيث دلالاته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية " . (٣٢)

(٢٧) انظر: الإتيان للسيوطي : ص ٤١٦ - ٤١٨

(٢٨) مقاييس اللغة : ٥٠٤/٤ - كتاب الفاء - باب الفاء مع السين وما يثلثهما - مادة فسر ، مجمل اللغة لابن فارس : ٧٢١/٣ - كتاب الفاء - باب

الفاء مع السين وما يثلثهما - مادة فسر ، وانظر : لسان العرب : ٥٥/٥ - مادة فسر ، المصباح المنير : ٤٧٢/٢ - كتاب الفاء - الفاء مع السين وما يثلثهما - مادة فسر

(٢٩) لسان العرب : ٥٥/٥ - مادة فسر

(٣٠) البرهان في علوم القرآن للزركشي : ١٣/١

(٣١) الإتيان في علوم القرآن : ص ٧٥٩

(٣٢) مناهل العرفان : ٣/٢

المبحث الأول : منهج الرماني في تفسيره الجامع لعلم القرآن من خلال سورة الإسراء

بادئ ذي بدء ، قبل أن أعرض لمنهجه في سورة الإسراء ، لابد أن أذكر الصيغة التي يذكرها الرماني في السؤال والجواب ، وهي صيغة واحدة ، وهي : (ويقال) ثم يذكر : (والجواب) . والمتأمل تفسير الرماني يجد أنه يعرض لتفسير الآية عن طريق السؤال والجواب . ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ [الإسراء : من الآية ١]

يقول الرماني : ويقال : ما المسجد الأقصى ؟

الجواب : بيت المقدس ، وهو مسجد سليمان بن داود عليهما السلام ، عن الحسن وغيره من أهل العلم . وقيل : الأقصى ، لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام ، وقال الحسن : صلى النبي صلى الله عليه وآله المغرب في المسجد الحرام ، ثم أسرى به إلى بيت المقدس من ليلته ، ثم رجع فصلى الصبح في المسجد الحرام ، ولما أخبر به المشركين كذبوا ذلك وقالوا : تسير مسيرة شهر في ليلة واحدة؟! (٣٣)

يعتمد الرماني نادراً على الأحاديث في تفسيره ، وهذا في مواضع قليلة جداً ، ومن

هذه المواضع

ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُوكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَخَذُوكَ خَلِيلًا﴾ [الإسراء : ٧٣]

ويقال : ما معنى كاد هنا ؟

الجواب : قارب ، بأن هم من غير عزم ، عن الحسن ، وروي عن النبي صلى الله عليه وآله : (أن الله عز وجل وضع عن أمتي مما حدثت به أنفسها إلا من عمل شيئاً أو تكلم به) (٣٤) ، وقيل : إنهم قالوا : لا ندعك تستلم الحجر حتى تلم بالهتتا . (٣٥)

(٣٣) الجامع لعلم القرآن - للرماني : ص ٣٢١

(٣٤) أخرجه البخاري - صحيح البخاري - كتاب الطلاق - باب الطَّلَاقِ فِي الْإِغْلَاقِ وَالْكَزْرِ، وَالسُّكْرَانِ وَالْمَجْنُونِ وَأَمْرُهُمَا، وَالْعَلَطِ وَالْبَسْتَانِ فِي الطَّلَاقِ وَالْبَرْكَ وَغَيْرِهِ ٤٦/٧ - حديث رقم ٥٢٦٩ ، ومسلم - صحيح مسلم - كتاب الإيمان - بابُ تَجَاوُزِ اللَّهِ عَنْ حَدِيثِ النَّفْسِ وَالْخَوَاطِرِ بِالْقَلْبِ، إِذَا لَمْ تَسْتَقَرَّ ١١٦/١ - حديث رقم ١٢٧ ، والترمذي - الجامع الكبير - أبواب الطلاق واللعان - باب ما جاء فيمن يحدث نفسه بطلاق امرأته ٤٧٥/٢

حديث رقم ١١٨٣ ، قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، وذكر البخاري ومسلم والترمذي لفظ تجاوز بدل وضع

(٣٥) الجامع لعلم القرآن : ص ٣٧٢

يعتمد الرماني في تفسيره على أقوال بعض الصحابة والتابعين

ومن أمثلة ذلك ما ذكره الرماني عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَفْزِرُ مِنْ أَسْطَظَّتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبُ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الإسراء : ٦٤]

ويقال : ما شركته إياهم في الأولاد ؟

الجواب : قيل : أولاد الزنا ، عن مجاهد ، والضحاك . وقيل : المؤودة ، عن ابن عباس . وقيل : من هودوا ونصروا ، عن الحسن ، وقتادة . وقيل : تسميتهم عبد الحرث ، وعبد شمس ، عن ابن عباس بخلاف . وقيل : بكل وجه من هذه الوجوه . (٣٦)

وهكذا يتضح لنا أن الرماني يعتمد في تفسيره لبعض الآيات على أقوال بعض الصحابة والتابعين ، مثل ابن عباس ، والحسن ، وقتادة ، ومجاهد ، والضحاك .

يعتمد في تفسيره على اللغة

ومن أمثلة ذلك ما ذكره الرماني عند تفسير قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةً مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء : ٣]

يقول الرماني: ويقال: بم انتصب ؟ ﴿ذُرِّيَّةً مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾

الجواب : بالنداء ، كأنه قيل : يا ذرية من حملنا مع نوح ، وهو نداء لمن كان ويكون من المكلفين على ما يصح . ويجوز : من بلوغه إياهم . (٣٧)

ومن أمثلة ذلك أيضا ما ذكره الرماني عند تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ أَنَّكُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ [الإسراء : ١٠٠]

يقول : ويقال : بم يرتفع (أنتم) في (لَوْ أَنَّكُمْ)؟

الجواب : بفعل مضمر ، تقديره لو تملكون أنتم ؛ لأن (لو) أحق بالفعل ، عن الزجاج . وقال الشاعر :

لو غيركم علق الزبير بحبله أدى الجوار إلى بني العوام (٣٨)

(٣٦) الجامع لعلم القرآن : ص ٣٦٦

(٣٧) الجامع لعلم القرآن : ص ٣٢٢

(٣٨) الجامع لعلم القرآن : ص ٣٩٥

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد - مجلة علمية محكمة- العدد التاسع عشر (الجزء الثاني)

ومن أمثلة ذلك ما ذكره الرماني عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء : ٢٣]

ويقال كم لغة للعرب في (أف) ؟

الجواب : ست لغات : الحركات الثلاث بتتوين وغير تتوين ، وأما الكسر فعلى أصل الحركة لالتقاء الساكنين ، والفتح طلباً للخفة في المضاعف ، والضم تشبيهاً (بقبل) (وبعد) لأنه يوقف عليه من غير وصل بغيره في المعنى ، ويجوز الضم للاتباع ، والتتوين على التنكير وترك التتوين على التعريف ، والأجود (أف) ؛ لأنه الأصل في النقاء الساكنين ، وترك التتوين أخف من غير إخلال . (٣٩)

ومثال آخر ، ما ذكره الرماني عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَوْ خَلَقْنَا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ [الإسراء : ٥١]

ويقال : ما النغض ؟

الجواب : تحريك الرأس بارتفاع وانخفاض ، ومنه قيل للظلم : نغض ؛ لأنه يحرك رأسه في مشيه بارتفاع وانخفاض ، ونغضت سنه إذا تحركت من أصلها وقيل : لما رأيتني أنغضت لي الرأسا

وقيل : ينغضون يحركون رؤوسهم استهزاءً ، عن ابن عباس ، وقتادة . (٤٠)

مما سبق نستنتج أن الرماني كان يعتمد على اللغة ، سواء في النحو أو البلاغة ، مع استشهاده بأقوال علماء اللغة ، وكذلك يدعم تفسيره بالشعر في توضيح المعني .

يعتمد الرماني على القراءات:

ومن أمثلة ذلك ما ذكره الرماني عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَعَاثَيْنَا مُوسَىٰ الْأَكْتَبَ وَجَعَلْنَاهُ هَدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا﴾ [الإسراء : ٢]

يقول الرماني : ويقال : من قرأ (ألا يتخذوا) بالياء ؟

الجواب : أبو عمرو وحده ، وقرأ الباقون : بالتاء . (٤١)

(٣٩) الجامع لعلم القرآن : ص ٣٣٥ - ٣٣٦

(٤٠) الجامع لعلم القرآن : ص ٣٥٤

(٤١) الجامع لعلم القرآن : ص ٣٢٢

ومن أمثلة ذلك أيضا ما ذكره الرماني عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوْوُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الإسراء : من الآية ٧]

قال الرماني: ويقال : كم قراءة في ﴿لِيَسْتَوْوُوا وُجُوهَكُمْ﴾ ؟

الجواب : ثلاث قراءات : الأولى : بالياء جماع بهمة بين واوين ، ابن كثير ، ونافع ، وعاصم في رواية حفص ، والثانية : وقرأ بن عامر ، وحمزة ، وعاصم في رواية أبي بكر ﴿لِيَسْتَوْوُوا وُجُوهَكُمْ﴾ بالياء على واحد ، والثالثة : وقرأ الكسائي (لنسوا) بالنون . (٤٢)

مما سبق يتضح أن الرماني يعتمد - كغيره من المفسرين - في تفسيره لبعض الآيات على القراءات السبع المتواترة .

يذكر الرماني مناسبة الآية بما قبلها :

ومن أمثلة ذلك ما ذكره الرماني عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحَوِّهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء : ٦٠]

يقول الرماني متسائلاً : ما وجه اتصال الآية بما قبلها ؟ (٤٣)

الجواب : إنه على ما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً ، محققين ظن إبليس فيهم ، مخالفين موجب نعمة ربهم على أبيهم وعليهم . (٤٤)

ومن أمثلة ذلك ما ذكره الرماني عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنُنَاجِيهِ- وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا﴾ [الإسراء : ٨٣]

ويقال : ما وجه اتصال ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ﴾ بما قبله ؟ (٤٥)

الجواب : إنه أعرض عن إنعامنا عليه بضروب النعم ، كما أعرض عن النعمة بالقرآن . (٤٦)

(٤٢) الجامع لعلم القرآن: ص ٣٢٥

(٤٣) الآية التي قبلها قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَءَاتَيْنَا ثُمُودَ النَّاقَةَ مُبْصَرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء : ٥٩]

(٤٤) الجامع لعلم القرآن : ص ٣٦٢

(٤٥) الآية التي قبلها قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء : ٨٢]

(٤٦) الجامع لعلم القرآن : ص ٣٨١

يرجح الرماني أحيانا بين الأراء

ومن أمثلة ذلك ما ذكره الرماني عند تفسير قوله تعالى: ﴿مَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء : ١٥] ويقال : ما معنى ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ ؟
الجواب : فيه قولان :

الأول : لا يؤخذ أحد بذنب غيره ، والوزر الإثم . والثاني : لا يجوز لأحد أن يعمل الإثم ؛ لأن غيره عمله ، والأول أظهر .^(٤٧) فالرماني هنا يرجح القول الأول على الثاني ؛ انطلاقاً من أن الإنسان لا يؤخذ بذنب غيره ، فكل أحد مسؤول عن ذنبه ، وهو المعنى الذي نصت عليه الآية السابقة .

يختتم الرماني أحيانا تفسير الآيات بقوله : (وقد تضمنت هذه الآيات)

فالرماني في تفسيره لبعض الآيات غالباً يذكر قوله : (وقد تضمنت هذه الآيات) ، ولعله أراد بذلك - في اعتقادي - أن يذكر المعنى المستفاد من هذه الآيات ، ومن ثم يستطيع القارئ أن يدرك ما اشتملت عليه هذه الآيات من المعاني التي أرادها الله سبحانه وتعالى .

ومن أمثلة ذلك ما ذكره الرماني عند تفسير الآيات من قوله تعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ ۚ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ۚ لِنُرِيَهُ مِنْ ءَايَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۚ وَعَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ۖ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا ۚ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء : ١- ٣] حيث قال في نهاية تفسير هذه الآيات : وقد تضمنت الآيات البيان عما يوجبه إسرائ الله بعبده من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى في بعض ليلة ، من تعظيم الله جل وعز بجلال آياته ، وعظيم إنعامه على نبيه محمد وموسى من قبله عليهما السلام ، وذرية من نجا مع نوح ومن غرق ممن كفر به .^(٤٨)

ومن أمثلة ذلك ما ذكره الرماني عند تفسير الآيات من قوله تعالى: ﴿قُلْ لَّوْ أَنُتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ ۚ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ۚ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ ۖ فَسَأَلَ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ [الإسراء : ١٠٠-١٠١] حيث قال في نهاية تفسير هذه الآيات : وقد تضمنت الآيات البيان عما يوجبه صفة الإنسان في

^(٤٧)الجامع لعلم القرآن : ص ٣٢٩^(٤٨)الجامع لعلم القرآن : ص ٣٢٢

ضنه بملكه ، من أنه لو ملك خزائن رحمة ربه ، لأمسك خشية الإنفاق لشحه ، بما فيه من صفة النقص اللازم ، كالحاجة اللازمة .^(٤٩)

مما سبق يتضح أن الرماني اعتمد في تفسيره (الجامع لعلم القرآن) (في سورة الإسراء) على الأحاديث وأقوال بعض الصحابة والتابعين ، ويعتمد أيضا على اللغة والنحو ، والقراءات ، كما يهتم بذكر مناسبة الآية بما قبلها ، ويرجح بين الآراء ، مع ذكر المعاني المستفادة من الآيات بقوله: (وقد تضمنت هذه الآيات) ، كما مر على النحو السابق .

ينقل الرماني آراء المعتزلة في كثير من المواضع

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذُكِّرْتُ بِكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوْ عَلَىٰ أَذْبَرِهِمْ نُفُورًا﴾ [الإسراء : ٤٦]

يقول الرماني : فيقال : لم لا يجوز التكليف مع المنع على سبيل العقاب ؟

الجواب : لأن تكليف ما لا يطاق على غير شرط الطاقة قبيح ، لا يجوز من حكيم ، مع أنه لا يصح أن يراد ما يستحيل أن يكون إلا مع توهم أنه يصح أن يكون ؛ لأن استحالته صارف أن يراد من غير داع يصح به أن يراد ، إذ سبيله كسبيل من زعم أنه يريد أن يكون الشيء موجوداً معدوماً في حال ، فليس فيه معنى يصح . معنى يصح أن يراد كما ليس فيه معنى يقدر عليه.^(٥٠)

ونخلص مما سبق إلى أن الرماني كان متأثراً إلى حد كبير بآراء المعتزلة .

(٤٩) الجامع لعلم القرآن : ص ٣٩٥

(٥٠) الجامع لعلم القرآن ص ٣٥١

المبحث الثاني: نماذج من التساؤلات التفسيرية في سورة الإسراء

جدير بالذكر، أنني سأعرض لذكر هذه النماذج وفق ترتيب الآيات في سورة الإسراء ، وهي على النحو التالي :

التساؤل الأول

ومن أمثلة ذلك ما ذكره الرماني عند تفسير قوله تعالى : ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ عَائِيَتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء : ١]

يقول الرماني - رحمه الله - ويقال : أين كان النبي صلى الله عليه وآله - من المسجد ليلة الإسراء ؟

الجواب : فيه قولان : الأول: في بيت أم هانئ بنت أبي طالب ، والحرم كله مسجد ، روي ذلك عن أم هانئ والثاني : في نفس المسجد الحرام ، فيما رواه الحسن وقتادة . (٥١)
جدير بالذكر ، أن ما ذكره الرماني في القول الأول موافق لما ذهب إليه السمرقندي، والطوسي ، والزمخشري ، والطبرسي، والرازي، وأبو زهرة ، وإن كان الطوسي لم ينسب ما نقله عن الرماني (٥٢) ، وقد ذكر الزمخشري والرازي علة تسمية المسجد الحرام بأنه الحرم حيث قالوا : المراد بالمسجد الحرام: الحرم، لإحاطته بالمسجد والتباسه به. (٥٣)

وقد ذكر الزمخشري رواية توضح أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه أسري به من بيت أم هانئ حيث قال : وروى أنه كان نائماً في بيت أم هانئ بعد صلاة العشاء ، فأسرى به ورجع من ليلته، وقص القصة على أم هانئ، وقال: مثل لي النبيون ، فصليت بهم ، وقام ليخرج إلى المسجد فتشبتت أم هانئ بثوبه فقال: مالك؟ قالت: أخشى أن يكذبك قومك إن أخبرتهم، قال: وإن كذبتوني، فخرج فجلس إليه أبو جهل فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث الإسراء، فقال أبو جهل: يا معشر بني كعب بن لؤي، هلم، فحدثهم، فمن بين مصفق وواضع يده على رأسه تعجباً وإنكاراً. (٥٤) ، وقد ذكر الطبرسي نفس القصة مختصرة. (٥٥)

(٥١) الجامع لعلم القرآن : ص ٣٢١

(٥٢) بحر العلوم : للسمرقندي ٢/٢٥٨، التبيان للطوسي : ٦/٤٤٦ ، الكشف : للزمخشري ص ٥٨٩ ، مجمع البيان للطبرسي : ٦/٣٩٦ ، مفاتيح

الغيب للرازي : ٢٠/١٤٧ ، زهرة التفاسير : لأبي زهرة ٨/٤٣١٨ - ٤٣١٩

(٥٣) الكشف : ص ٥٨٩ ، مفاتيح الغيب : ٢٠/١٤٧

(٥٤) الكشف : ص ٥٨٩

(٥٥) مجمع البيان : ٦/٣٩٦

وقد رجح الزمخشري بأن المكان الذي أسرى منه فقيـل: هو المسجد الحرام بعينه، وهو الظاهر.^(٥٦) 'ورجح أيضاً أبو زهرة بأن المكان الذي أسرى منه فقال: " هو المسجد الحرام وذكر الرواية عن النبي - صلى الله عليه وسلم - حيث قال: فالابتداء من المسجد الحرام لا من مكة كلها، وصحت الرواية عن النبي - صلى الله عليه وسلم - بأنه أسرى به من الحِجْر في المسجد ، وقيل إنه أسرى به من بيت أم هانئ بنت أبي طالب، ونحن نرى أن الأولى أن يكون ابتداء الإسراء من الحجر؛ لصحة الرواية ؛ ولأنها التي تتفق مع النص ؛ لأن النص ذكر أنه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ومكة وإن كانت حرماً آمناً لأجل المسجد الحرام، فليست كلها الكعبة ولا المسجد الحرام".^(٥٧)

وفي اعتقادي أن ما ذهب إليه الزمخشري وأبو زهرة من القول بأن المسجد الحرام هو بداية الاسراء ، هو الأرجح ، سيما وأنه يتفق مع صريح قوله تعالى : ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ ءَايَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء : ١]

التساؤل الثاني

ما ذكره الرماني عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء : ١٣]

ويقال : ما طائر الإنسان الذي يلزمه ؟

الجواب : عمله، من خير وشر ، كالطائر الذي يجيء من ذات اليمين فيتبرك به ، والطائر الذي يجيء من ذات الشمال فيتشاءم به ، وطائره عمله ، عن ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة .^(٥٨)

جدير بالالتفات ، ما ذكره الرماني في الإجابة عن هذا التساؤل موافق لما ذهب إليه الطبري ، والسمرقندي من رواية عن الحسن ، ونقل الطوسي نفس تفسير الرماني لمعنى طائره وإن كان لم ينسبه إليه ، وكذلك نجد أن الزمخشري ، والطبرسي ، والرازي ، والقرطبي ذهبوا إلى القول بأن معنى طائره عمله ،^(٥٩) وهو عين ما ذكره الرماني وغيره كما سبق . وإن كان الرازي أضاف

^(٥٦) الكشف : ص ٥٨٩

^(٥٧) زهرة التفاسير : ٤٣١٨/٨ - ٤٣١٩

^(٥٨) الجامع لعلم القرآن ص : ٣٢٨ - ٣٢٩

^(٥٩) تفسير الطبري ٥٢٤/١٤ ، بحر العلوم : ٢٦٢/٢ ، التبيان : ٤٥٥/٦ ، الكشف : ص ٥٩١ ، مجمع البيان : ٤٠٤/٦ ، مفاتيح الغيب : ١٦٨/٢٠

، تفسير القرطبي : ٣٩/١٣

دليلاً على أن طائرته بمعنى عمله حيث قال : " وتدل على صحة هذا الوجه قراءة الحسن ومجاهد: ألزمناه طائرته في عنقه". (٦٠)

ونقل الرازي :أن العرب إذا أرادوا الإقدام على عمل من الأعمال ، وأرادوا أن يعرفوا أن ذلك العمل يسوقهم إلى خير أو إلى شر، اعتبروا أحوال الطير، وهو أنه يطير بنفسه، أو يحتاج إلى إزعاجه، وإذا طار فهل يطير متيامناً أو متياسراً أو صاعداً إلى الجو ، إلى غير ذلك من الأحوال التي كانوا يعتبرونها ويستدلون بكل واحد منها على أحوال الخير والشر والسعادة والنحوسة، فلما كثر ذلك منهم سمي الخير والشر بالطائر ؛ تسمية للشيء باسم لازمه ونظيره قوله تعالى في سورة يس: قال تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ [يس : من الآية ١٨] إلى قوله: ﴿قَالُوا طَيَّرْنَاكُمْ مَعَكُمْ﴾ [يس : من الآية ١٩] ، وذكر الرازي قولاً حيث قال : "وكل إنسان ألزمناه طائرته في عنقه كناية عن أن كل ما قدره الله تعالى ومضى في علمه حصوله، فهو لازم له واصل إليه غير منحرف عنه". (٦١)

وأضاف الطبري ، والطبرسي في أحد أقواله ، وكذلك الرازي بأن معنى طائرته : حظه، من قولهم: طار سهم فلان بكذا: إذا خرج سهمه على نصيب من الأنصباء. (٦٢)

وقال الطبري : " وذلك وإن كان قولاً له وجه، فإن تأويل أهل التأويل على ما قد بينت، وغير جائز أن يتجاوز في تأويل القرآن ما قالوه إلى غيره، على أن ما قاله هذا القائل، إن كان عنى بقوله حظه من العمل والشقاء والسعادة، فلم يبعد فمعنى قوله من معنى قولهم " . (٦٣)

ونقل السمرقندي عن قتادة حيث قال : وقال قتادة: سعادته وشقاوته ، وزاد السمرقندي قولاً عن الضحاك حيث قال : "وقال الضحاك: طَائِرُهُ فِي عُقْبِهِ الشَّقَاوَةُ وَالسَّعَادَةُ وَالْأَجَلَ وَالرَّزَقُ " . (٦٤) وأضاف الطبرسي حيث قال : وقيل طائرته كتابه . (٦٥)

ونقل القرطبي قولاً عن مجاهد ، قال: ما من مولود إلا وفي عنقه ورقة مكتوب فيها شقي أو سعيد. (٦٦)

(٦٠) مفاتيح الغيب : ١٦٨/٢٠

(٦١) مفاتيح الغيب : ١٦٨/ ٢٠ - ١٦٩

(٦٢) تفسير الطبري ١٤/٥٢٤ ، مجمع البيان ٦/٤٠٤ ، مفاتيح الغيب : ١٦٨/٢٠

(٦٣) تفسير الطبري ١٤/٥٢٤

(٦٤) بحر العلوم : ٢/٢٦٢

(٦٥) مجمع البيان : ٦/٤٠٤

(٦٦) تفسير القرطبي : ١٣/٤٠

مما سبق ، يتضح أن ثمة اختلافاً على المراد بـ (طائره) ، هل هو العمل ، أم الحظ ، أم القدر ، أم الشقاء والسعادة ... الخ ، وإن كان في ظني أن كل هذه المعاني متقاربة ، وإن اختلفت الألفاظ أو العبارات .

التساؤل الثالث

ومن أمثلة ذلك ما ذكره الرماني عند تفسير قوله تعالى ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَبِيرَهُ فِي عُنُقِهِ ۚ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء : ١٣]

ويقال : من قرأ (يلقاه) بضم الياء وتشديد القاف ؟

الجواب : ابن عامر وحده . وقرأ الباقر : (يلقاه) . (٦٧)

وما ذكره الرماني في هذا التساؤل موافق لما ذهب إليه ابن مجاهد ، وابن خالويه ، والسمرقندي في قراءة (يلقاه) بضم الياء وتشديد القاف . (٦٨)

لكن ابن مجاهد وابن خالويه أضافا في قراءة (يلقاه) فتح اللام . (٦٩) وزاد ابن خالويه في قراءة (يلقاه) بتخفيف القاف، وسكون اللام . (٧٠) وأضاف الطوسي في قراءة (يلقاه) مع ابن عامر قراءة أبي جعفر (٧١) ، بينما القرطبي أضاف من قرأ مع ابن عامر قراءة أبي جعفر والحسن . (٧٢)

وذكر ابن خالويه الحجة لمن خفف القاف أو شددتها حيث قال : " فالحجة لمن خفف: أنه جعل الفعل للكتاب والهاء للإنسان. والحجة لمن شدد: أنه جعل الفعل لما لم يسم فاعله، واسمه مستتر فيه، والهاء للكتاب " . (٧٣)

وقد ذكر الطوسي أيضاً الحجة لمن خفف القاف أو شددتها حيث قال : " فمن قرأ بالتخفيف، فمن لقيت الكتاب، فإذا ضاعفت قلت لقانيه، وقد يتعدى بتضعيف العين إلى مفعولين ، بعد إن كان متعدياً إلى مفعول واحد، فإذا بني للمفعول به نقص مفعول واحد من المفعولين؛ لأن أحدهما يقوم مقام الفاعل، لإسناد الفعل إليه، فيبقى متعدياً إلى مفعول واحد، وعلى هذا قوله : ﴿ وَيُلْقَوْنَ فِيهَا

(٦٧) الجامع لعلم القرآن : ص ٣٢٩

(٦٨) كتاب السبعة : لابن مجاهد ص ٣٧٨ ، الحجة : لابن خالويه ص ٢١٤ ، بحر العلوم : ٢/٢٦٢

(٦٩) كتاب السبعة : لابن مجاهد ص ٣٧٨ ، الحجة : لابن خالويه ص ٢١٤

(٧٠) الحجة : لابن خالويه ص ٢١٤

(٧١) التبيان : للطوسي : ٤٥٥/٦

(٧٢) تفسير القرطبي : ٤١/١٣

(٧٣) الحجة : لابن خالويه ص ٢١٤

تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿[الْقُرْآن : من الآية ٧٥] وفي البناء للفاعل " قال تعالى: ﴿وَلَقَدْهُمْ نَصْرَةٌ وَسُرُورًا﴾ ﴿[الإنسان : من الآية ١١]. (٧٤)

أما قراءة (يلقاه) فقد ذكر الرمانى : وقرأ الباؤون : (يلقاه) واتفق معه السمرقندي (٧٥)، لكن ابن مجاهد ذكر قراءة الباقين حيث قال : وَقَرَأَ الْبَاقُونَ (يَلْقَاهُ) بَفَتْحِ الْيَاءِ وَتَسْكِينِ اللَّامِ وَتَخْفِيفِ الْقَافِ ، وذكر أيضاً بأن حَمَزَةَ الْكَسَائِيِّ يَمِيلَانِ الْقَافَ (٧٦) ، وقد وضح الطوسي قراءة الباقين حيث قال : " الباؤون بفتح الياء والقاف، بمعنى أنهم يلقونه ويرونه " (٧٧) ، واتفق معه القرطبي حيث قال : الْبَاقُونَ بِفَتْحِ الْيَاءِ حَفِيفَةً، أَيْ يَرَاهُ مَنْشُورًا. (٧٨)

مما سبق نستنتج أن الرمانى اعتمد على القراءات السبعة ولم يذكر إلا ابن عامر ، وعبر عن القراء الآخرين بكلمة الباقين .

التساؤل الرابع

ومن أمثلة ذلك ما ذكره الرمانى عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً قَرِيبَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء : ١٦] قال الرمانى (رحمه الله) : ويقال : لم خص المترفين بذكر الأمر ؟ الجواب : لأنهم الرؤساء الذين من عداهم تبع لهم ، كما أمر فرعون وكان من عداه من القبط تبعاً له . (٧٩)

نقل الطوسي نفس تفسير الرمانى لهذه الآية ولم ينسب ذلك للرمانى ، وهذا مما يؤخذ عليه ، (٨٠) وذكر أيضا الطبرسي نفس المعنى لكن مع زيادة ايضاح ، وذكر ما يشهد لصحة ذلك . حيث قال : " الوجه الأول : و على هذا فيكون قوله ﴿ أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ﴾ جواباً ل (إذا) و إليه يؤول ما روي عن ابن عباس و سعيد بن جبیر ، أن معناه أمرناهم بالطاعة فعصوا و فسقوا ، و مثله أمرتك فعصيتني ، و يشهد بصحة هذا التأويل الآية المتقدمة و هي قوله : ﴿مَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِىٰ لِنَفْسِهِ﴾ إلى قوله : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء : ١٥] و (ثانيها) إن قوله

(٧٤) التبيان : ٤٥٥/٦ - ٤٥٦

(٧٥) بحر العلوم : ٢/٢٦٢

(٧٦) كتاب السبعة : لابن مجاهد ص ٣٧٨

(٧٧) التبيان : ٤٥٥/٦

(٧٨) تفسير القرطبي : ٤١/١٣

(٧٩) الجامع لعلم القرآن : ص ٣٣١

(٨٠) التبيان : ٤٦٠/٦

« أَمَرَنَا مُتَرَفِّهًا » من صفة القرية ، و تقديره و إذا أردنا أن نهلك قرية صفتها أنا كنا قد أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فلا يكون ل (إذا) جواب ظاهر في اللفظ للاستغناء عنه بما في الكلام من الدلالة عليه ، و نظيره قوله سبحانه : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ [الرَّمْر : من الآية ٧٣] « إلى قوله : ﴿ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ ﴾ [الرَّمْر : من الآية ٧٤] فلم يأت ل (إذا) جواب في طول الكلام للاستغناء عنه بما في الكلام من الدلالة .

و ثالثها : إن الآية محمولة على التقديم و التأخير ، و تقديرها إذا أمرنا مترفي قرية بالطاعة فعصوا ، أردنا إهلاكهم ، و مما يمكن أن يكون شاهداً لهذا الوجه قوله : ﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ مَّعَكَ ﴾ [النِّسَاء : من الآية ١٠٢] و قيام الطائفة معه يكون قبل إقامة الصلاة ؛ لأن إقامتها هي الإتيان بجميعها على الكمال للقيام إلى الصلاة (و رابعها) أنه سبحانه ذكر الإرادة على وجه المجاز و الاتساع ، و إنما عني بها قرب الهلاك و العلم بكونه لا محالة ، كما يقال إذا أراد العليل أن يموت خلط في مأكله و يسرع إلى ما تتوق نفسه إليه ، و إذا أراد التاجر أن يفتقر أتاه الخسران من كل وجه . و معلوم أن العليل و التاجر لم يريدوا في الحقيقة شيئاً ، لكن لما كان من المعلوم من حال هذا الهلاك ، و من حال ذلك الخسران حسن هذا الكلام ، و استعمل ذكر الإرادة لهذا الوجه ، و لكلام العرب إشارات و استعارات و مجازات لأجلها كان كلامهم في الغاية القصوى من الفصاحة ، والوجه الأول عندي أصح الوجوه و أقربها إلى الصواب إذا تأولت الآية على الأمر الذي هو ضد النهي ، إذا تأولت الآية على معنى القراءتين الأخيرتين من أمرنا بالمد و أمرنا بالتشديد ، فلن يخرج على هذا الوجه و تكون محمولة على أحد الأوجه الثلاثة الآخر " . (٨١)

قال الرازي : "وإنما خص المترفين بذلك الأمر؛ لأن المترف هو المتمتع ، ومن كثرت نعم الله عليه كان قيامه بالشكر أوجب، فإذا أمرهم بالتوبة والرجوع مرة بعد أخرى ، مع أنه تعالى لا يقطع عنهم تلك النعم بل يزيدها حالاً بعد حال ، فحينئذ يظهر عنادهم وتمردهم وبعدهم عن الرجوع عن الباطل إلى الحق، فحينئذ يصب الله البلاء عليهم " . (٨٢)

مما سبق نستنتج أن الطوسي نقل عن الرماني ولم ينسبه إليه ، وهذا مما يؤخذ عليه ، وذكر الطبرسي نفس المعنى لكن بإيضاح ، وذكر ما يشهد لصحة ذلك ، ورجح الوجه الأول .

(٨١) مجمع البيان : للطبرسي ٦: ٤٠٦- ٤٠٧

(٨٢) مفاتيح الغيب : ١٧٧/٢٠٠

التساؤل الخامس

ومن أمثلة ذلك ما ذكره الرماني عند تفسير قوله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ [الإسراء : ٢٢]

قال الرماني - رحمه الله - ويقال : من المخاطب بـ ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ ؟
الجواب : يحتمل وجهين : الأول : خطاب للنبي صلى الله عليه وآله ، والمعنى عام لجميع المكلفين على نحو : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [الطلاق : من الآية ١]
والثاني : خطاب للإنسان ، كأنه قيل : لا تجعل أيها الإنسان مع الله إلهاً آخر . (٨٣)

اتفق الرازي مع الرماني في الوجهين ، لكنه رجح الوجه الثاني ، وذكر الدليل على ذلك حيث قال : " وهذا الاحتمال عندي أولى ؛ لأنه تعالى عطف عليه قوله : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ إلى قوله ﴿إِنَّمَا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا﴾ [الإسراء : من الآية ٢٣] ، وهذا لا يليق بالنبي عليه السلام ؛ لأن أبويه ما بلغا الكبر عنده ؛ فعلمنا أن المخاطب بهذا هو نوع الإنسان . " (٨٤)

وقال أبو زهرة في تفسيره : " الخطاب للنبي - صلى الله عليه وسلم ، ونبي الوجدانية كيف يخاطب بهذا، وهو بعث له ابتداء، والوجدانية أولى دعوته، ولها أوزي، ولها حورب، ولها جاهد، والجواب عن ذلك أنه خطاب له أولاً ولمن بعث فيهم ثانياً " . (٨٥)

ويرى ابن عاشور أن الخطاب للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَبَعَ لِخِطَابِ قَوْلِهِ: قَالَ تَعَالَى: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الإسراء : من الآية ٢١] . وَالْمَقْصُودُ إِسْمَاعُ الْخِطَابِ غَيْرُهُ بِقَرِينَةٍ تُحَقِّقُ أَنَّ النَّبِيَّ قَائِمٌ بِبَنْدِ الشِّرْكِ . (٨٦)

من خلال ما سبق يتضح أن الخطاب - في ظني - يحتمل الوجهين ؛ لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، حتى وإن كان الخطاب خاصاً بالنبي - صلى الله عليه وسلم .

(٨٣) الجامع لعلم القرآن : ص ٣٣٤

(٨٤) مفاتيح الغيب : ١٨٣/٢٠

(٨٥) زهرة التفاسير : ٤٣٦٠/٨

(٨٦) التحرير والتنوير : ٦٤/١٥

التساؤل السادس

ومن أمثلة ذلك ما ذكره الرماني عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أِفٍ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء : ٢٣]

يقول الرماني : ويقال : كم قراءة في (أف)؟

الجواب : ثلاث قراءات: بكسر الفاء من غير تنوين ، كما ورد عن أبي عمرو ، وحمزة ، والكسائي ، وعاصم في رواية أبي بكر .

والثاني : (أف) بفتح الفاء من غير تنوين ، كما ورد عن ابن كثير ، وابن عامر .

والثالث : (أف) بكسر الفاء والتنوين ، عن نافع ، وعاصم في رواية حفص .^(٨٧)

الواقع ، أن ما ذهب إليه الرماني في هذا التساؤل موافق لما ذهب إليه ابن مجاهد ، وابن خالويه ، والسمرقندي في القراءات الثلاث ، وهذا هو ما ذهب إليه أيضاً الطوسي ، والطبرسي ، والرازي .^(٨٨)

بيد أن ابن خالويه ذكر القراءات الثلاثة دون أن ينسب القراءات إلى أصحابها ، وذكر الحجة لمن نون ، والحجة لمن كسر ولم ينون حيث قال : فالحجة لمن نون: أنه أراد بذلك: الإخبار عن (نكر) معناه: فلا تقل لهما القبيح. والحجة لمن كسر ولم ينون: أنه أراد: إسكان الفاء ، فكسر لالتقاء الساكنين .^(٨٩)

وأضاف الطوسي في القراءة الثانية (أف) بفتح الفاء من غير تنوين ، قراءة ابن عباس ويعقوب ، بالإضافة إلى قراءة ابن كثير ، وابن عامر^(٩٠)، وذكر الطبرسي الحجة لمن قرأ (أف) بالفتح حيث قال : الحجة : قال أبو علي من قرأ (أف) بالفتح فإنه بناه على الفتح ، وزاد الطبرسي قراءة أبي السماك حيث قال : وفي الشواذ قراءة أبي السماك (أف) مضمومة غير منونة، وأضاف كذلك قراءة ابن عباس حيث قال : وقرأ ابن عباس (أف) خفيفة .^(٩١)

مما سبق نستنتج أن الرماني اعتمد على القراءات السبعة ، مع نسبة هذه القراءات إلى أصحابها.

^(٨٧)الجامع لعلم القرآن : ص ٣٣٥

^(٨٨)كتاب السبعة في القراءات : ص ٣٧٩ ، الحجة في القراءات : ص ٢١٥ ، بحر العلوم : ٢٠/٢٦٥ ، التبيان : ٦/٤٦٤ ، مجمع البيان : ٦/٤٠٨ ، مفاتيح

الغيب : ٢٠/١٩٠

^(٨٩) الحجة في القراءات : ص ٢١٥

^(٩٠)التبيان : ٦/٤٦٤

^(٩١)مجمع البيان : ٦/٤٠٨

التساؤل السابع

ومن أمثلة ذلك ما ذكره الرماني عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَعَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ [الإسراء : ٢٦]

يقول الرماني - رحمه الله - ويقال : من ذو القربى المأمور بإتيانه حقه ؟
الجواب : قيل : قرابة الإنسان ، عن ابن عباس ، والحسن . وقيل : قرابة رسول الله - صلى عليه وآله - فيما يروى عن علي بن الحسين صلوات الله عليهما ، وقال بعض أهل العلم : التأويل هو الأول ؛ لأنه متصل ببر الوالدين . (٩٢)

في واقع الأمر ، ثمة اختلاف بين العلماء في المقصود بذوي القربى ، وذلك على النحو التالي :
أولاً : هناك من قال بأن المراد قرابة النبي - صلى الله عليه وسلم ، وكذلك قرابة الإنسان ، مثل الطبري ، والطوسي ، والزمخشري ، والطبرسي ، والرازي . (٩٣)

ثانياً : هناك من قال بقرابة النبي - صلى الله عليه وسلم - فقط ، مثل القرطبي . (٩٤)
وذكر الطبري ، دليلاً على القربى المأمور بإتيانه حقه وهم قرابة الرسول - ﷺ - عن السدي ، عن أبي الديلم ، قال : قال علي بن الحسين عليهما السلام لرجل من أهل الشام : أقرأت القرآن ؟ قال : نعم ، قال : أفما قرأت في بني إسرائيل ﴿وَعَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ [الإسراء : من الآية ٢٦] قال : وإنكم للقرابة التي أمر الله جل ثناؤه أن يؤتى حقه ؟ قال : نعم . (٩٥)

وذكر الطوسي سبب نزول ، يدل على القربى المأمور بإتيانه حقه ، وهم قرابة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وروي أنه لما نزلت هذه الآية استدعى النبي - صلى الله عليه وسلم - فاطمة وأعطاهم فدكا وسلمه إليها ، وكان وكلاؤها فيها طول حياة النبي - صلى الله عليه وسلم - فلما مضى النبي - صلى الله عليه وسلم - أخذها أبو بكر ، ودفعها عن النحلة . والقصة في ذلك مشهورة ، فلما لم يقبل بينتها ، ولا قبل دعواها طالبت بالميراث ؛ لأن من له الحق إذا منع منه من وجه ، جاز له أن يتوصل إليه بوجه آخر ، فقال لها : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

(٩٢) الجامع لعلم القرآن ص ٣٣٨

(٩٣) تفسير الطبري : ١٤ / ٥٦٢ - ٥٦٣ ، التبيان : ٦ / ٤٦٨ ، الكشاف : ص ٥٩٥ ، مجمع البيان : ٦ / ٤١١ ، مفاتيح الغيب : ٢٠ / ١٩٤

(٩٤) تفسير القرطبي : ١٣ / ٦٤

(٩٥) تفسير الطبري : ١٤ / ٥٦٣

يقول : (نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة)^(٩٦) ، فمنعها الميراث أيضاً . وكلامهما في ذلك مشهور .^(٩٧)

ونقل الطبرسي حديثاً يدل على أن المقصود في القرابة هم قرابة الرسول - صلى الله عليه وسلم - عن أبي سعيد الخدري ، قال : لما نزل قوله : ﴿وَعَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ أعطى رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فاطمة فدكا . قال عبد الرحمن بن صالح : كتب المأمون إلى عبد الله بن موسى يسأله عن قصة فدك ، فكتب إليه عبد الله بهذا الحديث . رواه الفضيل بن مرزوق عن عطية ، فرد المأمون فدكا إلى ولد فاطمة (عليها السلام) .^(٩٨)

وهناك من قال بقرابة الإنسان مثل الطبري في رواية أخرى ، دليلاً على القربى المأمور بإتيانه حقه ، وهم قرابة الإنسان ، حدثنا عمران بن موسى ، قال : ثنا عبد الوارث بن سعيد ، قال : ثنا حبيب المعلم ، قال : سألت رجل الحسن ، قال : أعطي قرابتي زكاة مالي؟ فقال : إن لهم في مالك حقاً سوى الزكاة ، ثم تلا هذه الآية ﴿وَعَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ [الإسراء : من الآية ٢٦]^(٩٩) .

ولقد وضع المعنى في قرابة الإنسان الزمخشري حيث قال : " ﴿وَعَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ وصى بغير الوالدين من الأقارب بعد التوصية بهما ، وأن يؤتوا حقهم ، وحقهم : إذا كانوا محارم كالأبوين والولد ، وفقراء عاجزين عن الكسب ، وكان الرجل موسراً : أن ينفق عليهم عند أبي حنيفة . والشافعي لا يرى النفقة إلا على الولد والوالدين فحسب .

وإن كانوا ميسير ، أو لم يكونوا محارم : كأبناء العم ، فحقهم صلتهم بالمودة والزيارة وحسن المعاشرة والمؤالفة على السراء والضراء والمعاودة ، ونحو ذلك " .^(١٠٠)

وقد ذكر الرازي دليلاً على أن المقصود هم قرابة الإنسان حيث قال : والدليل عليه أنه معطوف على قوله : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء : من الآية ٢٣] والمعنى : أنك بعد فراغك

^(٩٦) أخرجه الترمذي - الجامع الكبير - أبواب السير - باب ما جاء في تركة رسول الله - ﷺ - ٢٥٥/٣ - جزء من حديث رقم ١٦١٠ ،

قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث مالك ابن أنس

^(٩٧) التبيان : ٤٦٨/٦ - ٤٦٩

^(٩٨) مجمع البيان : ٤١١/٦ ، والحديث أخرجه الألباني - سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ١٥٧/١٤ - حديث رقم ٦٥٧٠ - قال الألباني : حديث

موضوع

^(٩٩) تفسير الطبري : ٥٦٢/١٤ - ٥٦٣

^(١٠٠) الكشف : ص ٥٩٥

من بر الوالدين، يجب أن تشتغل ببر سائر الأقارب ، الأقرب فالأقرب، ثم بإصلاح أحوال المساكين وأبناء السبيل. (١٠١)

ونقل أبو زهرة بأن المقصود بالقرابة هم قرابة الإنسان حيث قال : " وذو القربى هو ذو القرابة؛ لأن القربى مؤنث الأقرب، أي يعطى ذا القربى الأقرب فالأقرب حقه، وحق ذي القربى نوعان: حق العطاء إن كان فقيراً فإن عليه نفقته إذا احتاج، كما أنه يرثه إذا مات غنياً، وقد قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَرَكََةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [النور : ٦١]

ولا يقتصر العطاء على المحارم، بل ذوو الأرحام جميعاً لهم حق في ماله إذا احتاجوا، وقد قال تعالى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ [الأحزاب : من الآية ٦]

والنوع الثاني من حقهم أن يصلهم بالمودة الواصلة فيزورهم ويعودهم، ويتعرف أحوالهم، ولو كانوا لا يصلونه، كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم : (ليس الواصل بالمكافئ إنما الواصل من يصل رحمه عند القطيعة) (١٠٢) ، ولقد قرر النبي - صلى الله عليه وسلم - أن صلة الرحم تبارك في الرزق، وتبقي الأثر بعد الموت، وقد قال - صلى الله عليه وسلم : " من أراد منكم أن يبارك له في رزقه، وينسأ له في أثره فليصل رحمه " (١٠٣) .

ولقد نقل الرمانى عن بعض أهل العلم ، أنهم رجحوا بأن المقصود بالقرابة قرابة الإنسان ، حيث قال : وقال بعض أهل العلم : التأويل هو الأول ؛ لأنه متصل ببر الوالدين . (١٠٤)

ورجح الطبري كذلك قرابة الإنسان حيث قال : " وأولى التأويلين عندي بالصواب، تأويل من تأول ذلك أنها بمعنى وصية الله عباده بصلة قرابات أنفسهم وأرحامهم من قبل آبائهم وأمهاتهم، وذلك أن

(١٠١) مفاتيح الغيب : ١٩٤/٢٠

(١٠٢) أخرجه أبي داود - صحيح سنن أبي داود - كتاب الزكاة - باب في صلة الرحم ٤٧٠/١ - حديث رقم ١٦٩٧ و الترمذي - الجامع الكبير - أبواب البر والصلة - باب ما جاء في صلة الرحم ٤٧٢/٣ - حديث رقم ١٩٠٨ ، قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح

(١٠٣) زهرة التفاسير ٤٣٦٦/٨ ، والحديث أخرجه البخاري - صحيح البخاري - كتاب الأدب - باب مَنْ يُسِطُّ لَهُ فِي الرِّزْقِ بِصِلَةِ الرَّحِمِ ٥/٨ - حديث رقم ٥٩٨٦ ، بلفظ من أحب أن ييسط له في رزقه ، ومسلم - صحيح مسلم - كتاب البر والصلة والآداب - باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها

١٩٨٢/٤ - حديث رقم ٢٥٥٧ ، وأبو داود - صحيح سنن أبي داود - كتاب الزكاة - باب في صلة الرحم ٤٦٩/١ - حديث رقم ١٦٩٣

(١٠٤) الجامع لعلم القرآن ص ٣٣٨

الله عز وجل عقب ذلك عقيب حضه عباده على بر الآباء والأمهات، فالواجب أن يكون ذلك حضا على صلة أنسابهم دون أنساب غيرهم التي لم يجر لها ذكر. وإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: وأعط يا محمد ذا قرابتك حقه من صلتك إياه، وبرك به، والعطف عليه". (١٠٥)

وكذلك رجح القرطبي قرابة الإنسان حيث قال: "وَالْحَقُّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مَا يَتَّعَيْنُ مِنْ صِلَةِ الرَّجْمِ، وَسَدِّ الْخَلَّةِ، وَالْمُؤَاسَاةِ عِنْدَ الْحَاجَةِ بِالْمَالِ، وَالْمُعُونَةِ بِكُلِّ وَجْهِ". (١٠٦)

يتضح مما سبق أن ثمة خلافاً بين العلماء في تحديد المراد بذي القربى، فالبعض يقول بقرابة النبي - صلى الله عليه وسلم، والبعض الآخر يقول بقرابة الإنسان، وهناك من يقول بالرأيين معا، ولكل منهم أدلته وبراهينه، وفي اعتقادي أن القول بالرأيين معاً هو الأظهر.

التساؤل الثامن

ومن أمثلة ذلك ما ذكره الرماني عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا يَكُنْ نَزْرُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنْ قَتَلْتُمْ كَانَ خِطَاءً كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٣١] ويقال: كم قراءة في (خطأ)؟

الجواب: ثلاث قراءات: ابن كثير، (خطأ) مكسورة الخاء ممدودة مهموزة. وقرأ ابن عامر: (خطأ) بفتح الخاء والهمز من غير مد. وقرأ الباقون (خطأ) مكسورة الخاء ساكنة الطاء بهمزة مقصورة (١٠٧)

وما ذكره الرماني في هذا التساؤل موافق لما ذهب إليه ابن مجاهد، وابن خالويه، والسمرقندي (١٠٨)، لكن ابن مجاهد ذكر ما روى عن عبيد عن شبل عن ابن كثير (خطأ) مثل أبي عمرو. (١٠٩) وذكر ابن خالويه الحجة في القراءات السابقة حيث قال: فالحجة لمن كسر وأسكن وقصر: أنه جعله مصدراً لقولهم: خطئ خطأ. ومعناه: أثمت إثماً. والحجة لمن فتحهما وقصر: أنه أراد الخطأ الذي هو ضد العمد. ودليله قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً﴾ [النساء: ٩٢]. وقال بعض أهل اللغة: هما لغتان. والحجة لمن كسر الخاء وفتح الطاء ومدّ، فوزنه فعال من الخطيئة. وهو مصدر كالصيام والقيام. والعرب تقول: هذا مكان مخطوء فيه من خطئ، ومخطأ فيه من أخطأت، هذان بالهمز ومكان مخطو فيه من المشي بتشديد الواو

(١٠٥) تفسير الطبري: ٥٦٣/١٤ - ٥٦٤

(١٠٦) تفسير القرطبي: ٦٤/١٣

(١٠٧) الجامع لعلم القرآن ص ٣٤٣

(١٠٨) السبعة في القراءات: ص ٣٧٩ - ٣٨٠، الحجة في القراءات ص ٢١٦، بحر العلوم: ٢٦٧/٢

(١٠٩) السبعة في القراءات: ص ٣٨٠

من غير همز. ^(١١٠) ، وأضاف السمرقندي في قراءة ابن كثير فتح الطاء حيث ذكر: وقرأ ابن كثير: خِطَاءً بكسر الخاء، وفتح الطاء، ومد الألف. ووضح المعنى لمن قرأ بالفتح حيث قال: ومن قرأ بالنصب معناه: إنَّ قتلهم كان غير صواب. يقال: أخطأ يخطئ خطأ وخطاء. وأضاف السمرقندي أيضاً قراءة شاذة حيث قال: وقرأ بعضهم: بنصب الخاء والطاء، وهي قراءة شاذة. ^(١١١)

واتفق الطبرسي، والرازي، والقرطبي في ذكر القراءات السابقة التي ذكرها الرماني. ^(١١٢) ، وذكر الزمخشري القراءة الأولى دون أن ينسبها إلى أصحابها حيث قال: وخطاء بالكسر والمد، وزاد قراءتين وهما وخطاء بالفتح والمد. وخطأ بالفتح والسكون، ونقل القراءة عن الحسن حيث قال: وعن الحسن: (خِطَاءً) بالفتح وحذف الهمزة. ^(١١٣) ، وذكر الطبرسي قراءة أبي جعفر مع ابن عامر حيث قال: قرأ أبو جعفر و ابن عامر برواية ابن ذكوان كان (خِطَاءً) بفتح الخاء و الطاء من غير ألف بعدها، ونقل الطبرسي قراءتين للحسن حيث قال: وقراءة الحسن خطاء بالمد، وفي رواية أخرى عنه (خِطَاءً) بفتح الخاء و الطاء خفيفة ^(١١٤) ، وذكر القرطبي في قراءة ابن كثير حيث ذكر قال النَّحَّاسُ: وَلَا أَعْرِفُ لِهَذِهِ الْقِرَاءَةِ وَجْهًا، وَلِذَلِكَ جَعَلَهَا أَبُو حَاتِمٍ غَلَطًا. قَالَ أَبُو عَلِيٍّ: هِيَ مَصْدَرٌ مِنْ خَاطَأَ يُخَاطِئُ، وَإِنْ كُنَّا لَا نَجِدُ خَاطَأً، وَلَكِنْ وَجَدْنَا تَخَاطَأً، وَهُوَ مُطَاوِعٌ خَاطَأَ أَيْضاً قراءة الحسن حيث قال: وَقَرَأَ الْحَسَنُ "خَطَاءً" بِفَتْحِ الْخَاءِ وَالطَّاءِ وَالْمَدِّ فِي الْهَمْزَةِ. قَالَ أَبُو حَاتِمٍ: لَا يُعْرِفُ هَذَا فِي اللُّغَةِ وَهِيَ غَلَطٌ غَيْرُ جَائِزٍ. وَقَالَ أَبُو الْفَتْحِ: الْخَطَأُ مِنْ أَخْطَأْتُ بِمَنْزِلَةِ الْعَطَاءِ مِنْ أَعْطَيْتُ، هُوَ اسْمٌ بِمَعْنَى الْمَصْدَرِ، وَعَنِ الْحَسَنِ أَيْضًا "خَطِي" بفتح الخاء والطاء منونة من غير همزة، وأضاف قراءة ابن عباس حيث قال: وَرُويَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رضي الله تعالى عنهما - (خِطَاءً) بِفَتْحِ الْخَاءِ وَسُكُونِ الطَّاءِ وَهَمْزَةٍ. ^(١١٥) ، وأضاف الزمخشري، والطبرسي قراءة أبي رجاء حيث ذكرا: وعن أبي رجاء: بكسر الخاء غير مهموز. ^(١١٦)

^(١١٠) الحجة في القراءات ص ٢١٦ - ٢١٧

^(١١١) بحر العلوم ٢/ ٢٦٧

^(١١٢) مجمع البيان ٤١٢/٦، مفاتيح الغيب: ١٩٨/٢٠، تفسير القرطبي: ٧١ - ٧٠/١٣

^(١١٣) الكشف: ص ٥٩٦

^(١١٤) مجمع البيان: ٤١٢/٦

^(١١٥) تفسير القرطبي: ٧٢ - ٧١/١٣

^(١١٦) الكشف: ص ٥٩٦، مجمع البيان: ٤١٢/٦

مما سبق يتضح أن الرماني اعتمد على القراءات السبعة المتواترة ، ولا يذكر القراءات الشاذة كما ذكرها الزمخشري ، والطبرسي ، والقرطبي .

التساؤل التاسع

ومن أمثلة ذلك ما ذكره الرماني عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ [الإسراء : ٣٣]

قال الرماني - رحمه الله - ويقال : ما السلطان الذي جعل للولي ؟

الجواب : القود أو العفو والدية ، عن ابن عباس ، والضحاك ، وقال قتادة : القود . (١١٧)

اختلف العلماء في معنى السلطان الذي جعل لولي المقتول، نقل الطبري في رواية بأن السلطان بينة من الله عز وجل ، أنزلها يطلبها ولي المقتول، العقل، أو القود . (١١٨)

ونقل الطبري عن الضحاك بن مزاحم، في قوله: ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا﴾ [الإسراء : من الآية ٣٣] قال: إن شاء عفا، وإن شاء أخذ الدية . (١١٩)

ونقل الطبري ، والرازي رأياً آخر ، أن المراد بالسلطان: وهو القتل . (١٢٠)، وإن كان الرازي قد ضعف هذا الرأي حيث قال : "وهذا ضعيف ؛ لاحتمال أن يكون المراد: ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا ينبغي أن يسرف الظالم في ذلك القتل ؛ لأن ذلك المقتول منصور بواسطة إثبات هذه السلطنة لوليه" . (١٢١)

ونقل الرازي رأياً آخر مدعوماً بالدليل من الكتاب والسنة حيث قال : "إن تلك السلطنة مجملة، ثم صارت مفسرة بالآية والخبر، أما الآية فقوله تعالى في سورة البقرة: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ﴾ [البقرة : من الآية ١٧٨] إلى قوله: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدِّءْ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ﴾ [البقرة: من الآية ١٧٨] وقد بينا في تفسير هذه الآية أنها تدل على أن الواجب هو كون المكلف مخيراً بين القصاص وبين الدية. وأما الخبر فهو

(١١٧) الجامع لعلم القرآن ص ٣٤٢

(١١٨) تفسير الطبري : ١٤ / ٥٨٣

(١١٩) تفسير الطبري : ١٤ / ٥٨٣

(١٢٠) تفسير الطبري : ١٤ / ٥٨٤ ، مفاتيح الغيب : ٢٠ / ٢٠٣

(١٢١) مفاتيح الغيب : ٢٠ / ٢٠٣

قوله عليه السلام يوم الفتح: (من قتل قتيلاً فأهله بين خيرتين ، إن أحبوا قتلوا وإن أحبوا أخذوا الدية) " (١٢٢)

ووضح المعنى الرازي حيث قال : " وعلى هذا الطريق فقوله: فلا يسرف في القتل معناه: أنه لما حصلت له سلطنة استيفاء القصاص إن شاء، وسلطنة استيفاء الدية إن شاء. قال بعده: فلا يسرف في القتل معناه أن الأولى أن لا يقدم على استيفاء القتل ، وأن يكتفي بأخذ الدية ، أو يميل إلى العفو . وبالجمله فلفظة «في» محمولة على الباء، والمعنى: فلا يصير مسرفاً بسبب إقدامه على القتل ، ويصير معناه الترغيب في العفو والاكتفاء بالدية كما قال: ﴿ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ [البقرة: من الآية ٢٣٧] . " (١٢٣)

وهناك من ذكر قولاً قريباً من قول الطبري حيث قال : وَقَالَ ابْنُ وَهْبٍ قَالَ مَالِكُ: السُّلْطَانُ أَمْرُ اللَّهِ. (١٢٤) وقيل : عن ابن عباس : السُّلْطَانُ الْحُجَّةُ. (١٢٥)

وقد وافق القرطبي ، وابن عاشور ، وأبو زهرة الرماني حيث قالوا : إِنْ شَاءَ قَتَلَ وَإِنْ شَاءَ عَفَا، وَإِنْ شَاءَ أَخَذَ الدِّيَّةَ (١٢٦) . وزاد أبو زهرة : فإن زاد عن الثالثة فخذوا على يديه. أي فإن زاد عن القصاص أو العفو أو الدية. (١٢٧)

وقد رجح الطبري أن الولي إن شاء القتل وإن شاء الدية ، وإن شاء العفو عنه ، وذكر الدليل من السنة ، حيث قال : " وأولى التأويلين بالصواب في ذلك تأويل من تأول ذلك: أن السلطان الذي ذكر الله تعالى في هذا الموضع ما قاله ابن عباس، من أن لولي القتل إن شاء وإن شاء أخذ الدية، وإن شاء العفو، لصحة الخبر عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال يوم فتح مكة : «ألا ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين بين أن يقتل أو يأخذ الدية» " (١٢٨)

(١٢٢) المرجع السابق نفسه ، والحديث أخرجه أبوداود - صحيح سنن أبي داود - كتاب الديات - باب ولي العمد يرضى بالدية ٨٨/٣-٨٩- حديث رقم ٤٥٠٤

(١٢٣) مفاتيح الغيب : ٢٠٣/٢٠

(١٢٤) تفسير القرطبي : ٧٤/١٣

(١٢٥) تفسير القرطبي : ٧٤/١٣

(١٢٦) تفسير القرطبي : ٧٣/١٣-٧٤، عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا وَالضَّحَّاكُ وَأَشْهَبُ وَالشَّافِعِيُّ ، وانظر التحرير والتنوير : ٩٣ / ١٥ ، زهرة

التفاسير: ٤٣٧٧/٨

(١٢٧) زهرة التفاسير: ٤٣٧٧/٨

(١٢٨) تفسير الطبري : ٥٨٤/١٤ ، والحديث أخرجه الترمذي - الجامع الكبير - أبواب الديات - باب ما جاء في حكم ولي القتل في القصاص والعفو

٧٥/٣ - حديث رقم ١٤٠٥ ، ذكر الترمذي أن يعفو وإما أن يقتل

ورجح أيضاً القرطبي بأنه أمر الله ، وذكر قول ابن العربي حيث قال : قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ: وَهَذِهِ الْأَقْوَالُ مُتَقَارِبَةٌ، وَأَوْضَحُهَا قَوْلُ مَالِكٍ: إِنَّهُ أَمَرَ اللَّهَ. (١٢٩)

مما سبق يتبين اختلاف العلماء بين القتل أو أخذ الدية أو العفو ، وإن كان الأرجح - في نظري - القول القائل إن شاء القتل وإن شاء الدية ، وإن شاء العفو عنه ، كما ذكره الطبري؛ لأنه مستند إلى دليل من السنة .

التساؤل العاشر

ومن أمثلة ذلك ما ذكره الرماني عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ [الإسراء : ٣٣]

يقول : ويقال : علام تعود الهاء في ﴿إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ ؟

الجواب : على الولي ، وقيل : على المقتول ، عن مجاهد ، والأول أظهر ، ونصره بحكم الله تعالى بذلك . وقيل : نصره أمر النبي - صلى الله عليه وآله - والمؤمنين أن يعينوه . وقيل : الولي هو الوارث من الرجال . (١٣٠)

جدير بالذكر ، أن ما رجحه الرماني في هذا التساؤل بأن الهاء في (إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا) تعود على الولي ، وهو موافق لما ذهب إليه الطبري حيث قال : " وأشبه ذلك بالصواب عندي قول من قال: عنى بها الولي، وعليه عادت ؛ لأنه هو المظلوم، ووليه المقتول، وهي إلى ذكره أقرب من ذكر المقتول، وهو المنصور أيضاً؛ لأن الله جل ثناؤه قضى في كتابه المنزل أن سلطه على قاتل وليه وحكمه فيه ، بأن جعل إليه قتله ، إن شاء ، واستبقاؤه على الدية إن أحب ، والعفو عنه إن رأى، وكفى بذلك نصرة له من الله جل ثناؤه، فلذلك قلنا: هو المعني بالهاء التي في قوله: (إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا) " . (١٣١)

وخلاصة القول أن الرماني رجح أن الهاء تعود على الولي ، وهو عين ما ذهب إليه الطبري مرجحاً إياه ؛ لأن الولي هو المظلوم ، ووليه هو المقتول ، والهاء ترجع على ذكر الولي ، وذلك أقرب من رجوعها إلي ذكر المقتول .

(١٢٩) تفسير القرطبي : ٧٤/١٣

(١٣٠) الجامع لعلم القرآن : ص ٣٤٢

(١٣١) تفسير الطبري : ٥٨٩/١٤

التساؤل الحادي عشر

ومن أمثلة ذلك ما ذكره الرماني عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء : ٣٤]
قال الرماني : ويقال : ما بلوغ الأشد ؟

الجواب : قيل : ثماني عشرة سنة ، وقيل : الاحتلام مع سلامة العقل وإيناس الرشد . (١٣٢)

وهو عين ما ذهب إليه السمرقندي ، وإن كان السمرقندي أضاف قولاً آخر للفتبي حيث قال : وقال الفتبي: أشد الرجل، غير أشد اليتيم، وإن كان لفظهما واحداً، لأن قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ [الأحقاف : من الآية ١٥] إنما هو الاكتمال، وذلك ثلاثون سنة. وأشد الغلام أن يشتد خلقه، وذلك ثمان عشرة سنة. وقال مقاتل : هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿وإن تُحَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾ [البقرة : من الآية ٢٢٠] (١٣٣)

وذكر الطوسي آراء تتفق مع الرماني حيث قال : قال قوم: حتى يبلغ ثمانية عشرة سنة. وقال آخرون: حتى يبلغ الحلم ، لكن الطوسي رجح قول من قال : حتى يبلغ كمال العقل ويؤنس منه الرشد. (١٣٤)

وذكر الرازي أن بلوغ الأشد هو بلوغ النكاح حيث قال : " واعلم أن الولي إنما تبقى ولايته على اليتيم إلى أن يبلغ أشده وهو بلوغ النكاح، كما بينه الله تعالى في آية أخرى وهو قوله: قال تعالى: ﴿وَابْتَغُوا الْيَتِيمَ حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ [النساء : من الآية ٦] والمراد بالأشد بلوغه إلى حيث يمكنه بسبب عقله ورشده القيام بمصالح ماله، وعند ذلك تزول ولاية غيره عنه ، وذلك حد البلوغ، فأما إذا بلغ غير كامل العقل لم تزل الولاية عنه والله أعلم. وبلوغ العقل هو أن يكمل عقله وقواه الحسية والحركية والله أعلم " . (١٣٥)

مما سبق يتبين أن الرماني والسمرقندي والطوسي اتفقوا على أن بلوغ الأشد هو ثمانية عشر سنة ، وقيل هو الاحتلام ، وإن كنت أرجح الرأي الذي يذهب إلى القول بأن المراد هو كمال العقل ؛ لأن بلوغ الاحتلام لا يكفي ؛ إذ يجوز أن يبلغ الحلم ولا يبلغ كمال العقل ؛ لأن العقل هو الأساس في الإدراك والتمييز ، وليس بلوغ الاحتلام .

(١٣٢) الجامع لعلم القرآن ص ٣٤٥

(١٣٣) بحر العلوم : ٢٦٨/٢

(١٣٤) التبيين : ٤٧٦/٦

(١٣٥) مفاتيح الغيب : ٢٠٦/٢٠

التساؤل الثاني عشر

ومن أمثلة ذلك ما ذكره الرماني عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء : ٣٧]

قال الرماني - رحمه الله - ويقال: وما وجه النهي عن المشي في الأرض مرحا ؟
الجواب : إن المشي للمرح فقط ، من غير أن يكون على ما تدعو إليه الحكمة منكر قبيح ؛
وهو من فعل السفهاء الذين لا يراعون في أفعالهم إلا شهوات أنفسهم ، فالحسن عندهم ما اشتوهه ،
والقبيح هو ما كرهوه . (١٣٦)

وقد ذكر الرازي معنى المرح لغة حيث قال : " المرح شدة الفرح يقال: مرح يمرح مرحاً فهو مرح " .
(١٣٧) وقد استدلل الرازي من القرآن الكريم حيث قال : والمراد من الآية النهي عن أن يمشي
الإنسان مشياً يدل على الكبرياء والعظمة. قال الزجاج: لا تمش في الأرض مختلاً فخوراً ونظيره
قوله تعالى في سورة الفرقان: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان : من الآية
٦٣] وقال في سورة لقمان: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾ [لُقْمَان : من الآية ١٩]
وقال أيضاً فيها: قال تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ
مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لُقْمَان : ١٨] . (١٣٨)

وقد نقل القرطبي أيضاً معنى المرح حيث قال : وَالْمَرْحُ: شِدَّةُ الْفَرَحِ. وَقِيلَ: التَّكَبُّرُ فِي الْمَشْيِ.
وَقِيلَ: تَجَاوَزُ الْإِنْسَانُ قُدْرَهُ. وَقَالَ قَتَادَةُ: هُوَ الْخِيَلَاءُ فِي الْمَشْيِ. وَقِيلَ: هُوَ الْبَطَرُ وَالْأَشْرُ. وَقِيلَ:
هُوَ النَّشَاطُ ، وقد قال : هذه الأقوال متقاربة ، وَلَكِنَّهَا مُنْقَسِمَةٌ قِسْمَيْنِ: أَحَدُهُمَا مَذْمُومٌ وَالْآخَرُ
مَحْمُودٌ، فَالتَّكَبُّرُ وَالْبَطَرُ وَالْخِيَلَاءُ وَتَجَاوَزُ الْإِنْسَانُ قُدْرَهُ مَذْمُومٌ ، وَالْفَرَحُ وَالنَّشَاطُ مَحْمُودٌ. وَقَدْ وَصَفَ
اللَّهُ تَعَالَى نَفْسَهُ بِأَحَدِهِمَا، ففي الحديث الصحيح " لله أفرح بتوبة العبد من رجل ... " الحديث. (١٣٩)
والكسل مَذْمُومٌ شَرَعًا وَالنَّشَاطُ ضِدُّهُ. وَقَدْ يَكُونُ التَّكَبُّرُ وَمَا فِي مَعْنَاهُ مَحْمُودًا، وَذَلِكَ عَلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ
وَالظُّلْمَةِ. أَسْنَدَ أَبُو حَاتِمٍ بْنُ حِبَّانٍ عَنِ ابْنِ جَابِرٍ بْنِ عَتِيكَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: " مِنَ الْغَيْرَةِ مَا يُبْغِضُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَمِنْهَا مَا يُحِبُّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَمِنَ الْخِيَلَاءِ مَا
يُحِبُّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَمِنْهَا مَا يُبْغِضُ اللَّهُ فَأَمَّا الْغَيْرَةُ الَّتِي يُحِبُّ اللَّهُ الْغَيْرَةُ فِي الدِّينِ وَالْغَيْرَةُ الَّتِي

(١٣٦)الجامع لعلم القرآن: ص ٣٤٥

(١٣٧) مفاتيح الغيب : ٢٠/٢١٢

(١٣٨) مفاتيح الغيب : ٢٠/٢١٢

(١٣٩)أخرجه مسلم - صحيح مسلم - كتاب التوبة - باب في الحُضِيِّ عَلَى التَّوْبَةِ وَالْفَرَحِ بِهَا ٢١٠٣/٤ - حديث رقم ٢٧٤٤

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد - مجلة علمية محكمة العدد التاسع عشر (الجزء الثاني)

يُبْغِضُ اللَّهُ الْغَيْرَةَ فِي غَيْرِ دِينِهِ ، وَالْخِيَلَاءُ الَّتِي يُحِبُّ اللَّهُ اخْتِيَالُ الرَّجُلِ بِنَفْسِهِ عِنْدَ الْقِتَالِ وَعِنْدَ الصَّدَقَةِ وَالْاخْتِيَالُ الَّذِي يُبْغِضُ اللَّهُ الْخِيَلَاءُ فِي الْبَاطِلِ " وَأَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ. (١٤٠) وَأَنْشَدُوا:

وَلَا تَمْشِ فَوْقَ الْأَرْضِ إِلَّا تَوَاضَعَا ... فكم تحتها قوم هموا مِنْكَ أَرْفَعُ

وَأِنْ كُنْتَ فِي عِزٍّ وَحِرْزٍ وَمَنْعَةٍ ... فكم مات من قوم هموا مِنْكَ أَمْنَعُ (١٤١)

وقد ذكر أبو زهرة أن المشي في الأرض مرحاً هذا من الكبر والخيلاء، وهما يؤذيان الناس ولا ينفعان صاحبهما، ولقد قال النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - : " من تواضع لله رفعه " (١٤٢) فهو في نفسه حقير وعند الله كبير، ومن استكبر وضعه الله فهو في نفسه كبير وهو عند الله حقير. وإن الكبر يسيء إلى الناس؛ لأن المتكبر يستعلي عليهم ويضيع حقوقهم، ولا يبالهم ولا يحس بإحساسهم ويشمخ بنفسه كأنه فوق التبعة، ولا يسأل عن فعله وحاله، ولذا قال - صلى الله عليه وسلم - : " الكبر بטר الحق، وغمط الناس " (١٤٣)

والواقع ، أن ثمة اتفاقاً على أن المرح بقصد الخيلاء يعد منهيّاً عنه شرعاً ؛ فضلاً عن أنه عبث ، وهو نفس ما ذكره الرازي والقرطبي وأبو زهرة مع الرمانى في تفسير هذه الآية ؛ أن الله سبحانه وتعالى نَهَى عَنِ الْخِيَلَاءِ وَأَمَرَ بِالتَّوَّاضُعِ.

التساؤل الثالث عشر

ومن أمثلة ذلك ما ذكره الرمانى عند تفسير قوله تعالى: ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [الإسراء : ٣٨]

ويقال : من قرأ : (سيئة) منوناً غير مضاف ؟

الجواب : ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وقرأ الباقون : سيئة مضافاً . (١٤٤)

(١٤٠) أخرجه أبو داود - سنن أبي داود - كتاب الجهاد - باب في الخيلاء عند الحرب ٢٩٤/٤ - حديث رقم ٢٦٥٩ ، والشوكاني - نيل الأوطار -

كتاب الجهاد والسير - باب استحباب الخيلاء في الحرب ٦٨/٨

(١٤١) تفسير القرطبي : ٨٢ - ٨١/١٣

(١٤٢) أخرجه الألباني - السلسلة الضعيفة والموضوعة ٤٥٩/٣ - حديث رقم ١٢٩٥ ، قال الألباني : حديث موضوع

(١٤٣) زهرة التفاسير : ٤٣٨٤/٨ ، والحديث أخرجه مسلم - صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب تحريم الكبر وبيان ٩٣/١ - حديث رقم ٩١ ، والترمذي

- الجامع الكبير - أبواب البر والصلة - باب ما جاء في الكبر ٥٣٤/٣ - حديث رقم ١٩٩٩ ، قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب

(١٤٤) الجامع لعلم القرآن : ص ٣٤٦

وما ذكره الرماني في هذا التساؤل في قراءة (سيئه) موافق لما ذهب إليه الطبري ، وابن مجاهد ، وابن خالويه ، والسمرقندي^(١٤٥) ، إلا أن الطبري لم يذكر أصحاب القراءات ، وإنما ذكر القراءة بالإضافة فقال : فقرأه بعض قراء المدينة وعامة قراء الكوفة ، وذكر في قراءة (سيئه) منوناً غير مضاف ، وقرأ عامة قراء أهل المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة. ^(١٤٦) ، ووضح ابن خالويه القراءة حيث قال : كَانَ سَيِّئُهُ يقرأ بفتح الهمزة وإعراب الهاء وتثوينها، ويرفع الهمزة وضَمَّ الهاء؛ لأنها هاء كناية، وذكر الحجة للقراءتين حيث قال : فالحجة لمن فتح الهمزة وأعرب الهاء: أنه جعلها واحدة من السيئات. ودليله أن كل ما نهى الله عز وجل عنه سيئ مكروه، ليس فيه مستحسن لقوله: ﴿ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا ﴾ [التوبة : من الآية ١٠٢] فالسيئ: ضد الصالح. والحجة لمن قرأه بالإضافة قوله: (مكروها). ولو أراد السيئة لقال مكروهة ؛ لأنها أقرب من (ذلك) ، ودليله أنه في قراءة (أبي): (كل ذلك كان سيئاته عند ربك). ^(١٤٧)

وقد اتفق الزمخشري مع الرماني هذه القراءة بالإضافة ، وذكر قراءة أبي بكر حيث قال : وسيئاً في بعض المصاحف. وسيئات. وفي قراءة أبي بكر الصديق رضى الله عنه: كان شأنه. ^(١٤٨)

وقد اتفق الرازي ، والقرطبي مع الرماني في القراءتين ، وذكر الرازي وجه القراءتين حيث قال : أما وجه قراءة الأكثرين فظاهر من وجهين:

الوجه الأول: قال الحسن: إنه تعالى ذكر قبل هذا أشياء أمر ببعضها ونهى عن بعضها، فلو حكم على الكل بكونه سيئة لزم كون المأمور به سيئة وذلك لا يجوز، أما إذا قرأناه بالإضافة كان المعنى أن ما كان من تلك الأشياء المذكورة سيئة فهو مكروه عند الله ، واستنقام الكلام.

والوجه الثاني: أنا لو حكمنا على كل ما تقدم ذكره بكونه سيئة لوجب أن يقال: إنها مكروهة وليس الأمر كذلك ؛ لأنه تعالى قال: مكروها ، أما إذا قرأناه بصيغة الإضافة كان المعنى أن سيئ تلك الأقسام يكون مكروها، وحينئذ يستقيم الكلام. أما قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو: فيها وجوه: الأول: أن الكلام تم عند قوله: : ﴿ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [الإسراء : من الآية ٣٥] ثم ابتدأ وقال: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ [الإسراء : من الآية ٣٦] ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ [الإسراء : من الآية ٣٧] .

ثم قال: كل ذلك كان سيئه ، والمراد هذه الأشياء الأخيرة التي نهى الله عنها. والثاني: أن المراد بقوله: كل ذلك أي كل ما نهى الله عنه فيما تقدم. وأما قوله: مكروها فنذكروا في تصحيحه على هذه القراءة وجوهاً: الأول: التقدير: كل ذلك كان سيئة وكان مكروها. الثاني: قال صاحب

^(١٤٥) تفسير الطبري : ١٤ / ٥٩٩ ، السبعة : ص ٣٨٠ ، الحجة في القراءات : ص ٢١٧ ، بحر العلوم : ٢ / ٢٦٨ - ٢٦٩

^(١٤٦) تفسير الطبري : ١٤ / ٥٩٩

^(١٤٧) الحجة في القراءات : ص ٢١٧

^(١٤٨) الكشف : ص ٥٩٧

«الكشاف»: السيئة في حكم الأسماء بمنزلة الذنب والإثم ، زال عنه حكم الصفات فلا اعتبار بتأنيثه، ولا فرق بين من قرأ سيئة و سياً ، ألا ترى أنك تقول: الزنا سيئة كما تقول السرقة سيئة، فلا تفرق بين إسنادها إلى مذكر ومؤنث.^(١٤٩) الثالث: فيه تقديم وتأخير، والتقدير: كل ذلك كان مكروهاً وسيئة عند ربك. الرابع: أنه محمول على المعنى ؛ لأن السيئة هي الذنب وهو مذكر.^(١٥٠)

واتفق القرطبي مع الرماني في القراءتين.^(١٥١) ، وقد ذكرا السمرقندي ، والقرطبي اختيار أبي عبيدة للقراءة بالإضافة حيث قالوا : وقرأ الباقون سيئته بضم الهاء على معنى الإضافة، قال أبو عبيدة: وبهذه القراءة نقرأ، وحجته قراءة أبي، كان يقرأ سيئاته على معنى الإضافة.^(١٥٢)

وذكر الطبري أدلة من قرأ على الإضافة حيث قال : اختلف فيه، فقرأه بعض قراء المدينة وعامة قراء الكوفة ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [الإسراء : ٣٨] على الإضافة بمعنى: كل هذا الذي ذكرنا من هذه الأمور التي عدناها من مبتدأ قولنا ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء : من الآية ٢٣] . . إلى قولنا ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [الإسراء : من الآية ٣٧] .

و﴿كَانَ سَيِّئُهُ﴾ [الإسراء : ٣٨] يقول: سيئ ما عدنا عليك عند ربك مكروهاً. وقال قارئو هذه القراءة: إنما قيل ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ﴾ [الإسراء : من الآية ٣٨] بالإضافة ؛ لأن فيما عدنا من قوله ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء : من الآية ٢٣] أموراً، هي أمر بالجميل، كقوله قال تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [البقرة : من الآية ٨٣] وقوله : ﴿وَعَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ [الإسراء : من الآية ٢٦] وما أشبه ذلك، قالوا: فليس كل ما فيه نهياً عن سيئة، بل فيه نهى عن سيئة، وأمر بحسنات، فلذلك قرأنا ﴿سَيِّئُهُ﴾ [الإسراء ٣٨]^(١٥٣)

وقد رجح الطبري القراءة بالإضافة حيث قال : "وأولى القراءتين عندي في ذلك بالصواب قراءة من قرأ ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ﴾ [الإسراء : من الآية ٣٨] على إضافة السيئ إلى الهاء، بمعنى: كل ذلك الذي عدنا من ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء : من الآية ٢٣] ﴿كَانَ سَيِّئُهُ﴾ [الإسراء : من الآية ٣٨] ؛ لأن في ذلك أموراً منهيّاً عنها، وأموراً مأموراً بها، وابتداء الوصية والعهد من ذلك الموضع دون قوله ، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ [الأنعام : من الآية ١٥١] إنما هو عطف على ما تقدم من قوله ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء : من الآية ٢٣] فإذا كان ذلك كذلك، فقراءته بإضافة السيئ إلى الهاء أولى وأحق من قراءته سيئة بالتثنية، بمعنى

^(١٤٩) نفس المرجع السابق^(١٥٠) مفاتيح الغيب : ٢٠ / ٢١٣^(١٥١) تفسير القرطبي : ٨٤ / ١٣^(١٥٢) بحر العلوم : ٢ / ٢٦٩ ، تفسير القرطبي : ٨٤ / ١٣^(١٥٣) تفسير الطبري : ١٤ / ٥٩٩

السيئة الواحدة. فتأويل الكلام إذن: كل هذا الذي ذكرنا لك من الأمور التي عدناها عليك كان سيئه مكروها عند ربك يا محمد، يكرهه وينهى عنه ولا يرضاه، فاتق مواقعه والعمل به". (١٥٤)
مما سبق يتضح أن الرماني اعتمد على القراءات السبعة ، ولا يذكر القراءات الشاذة ، وذكر السمرقندي والقرطبي اختياراً أبي عبيدة لقراءة الإضافة وحجته قراءة أبي، كان يقرأ سَيِّئَاتِهِ على معنى الإضافة. وقد رجح الطبري أيضاً القراءة بالإضافة .

التساؤل الرابع عشر

بالنظر في آراء أو أقوال الرماني نجد أنه يدعم أقواله بآراء المعتزلة^(١٥٥) ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على تأثره بمذهب المعتزلة.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره الرماني عند تفسير قوله تعالى: ﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء : ٤٣]

قال الرماني : هل كل صفة لله جل وعز نهى في أعلى مراتب الصفات ؟

الجواب : نعم ، لأنه قادر لا يعجزه شيء على جميع أجناس المعاني ، لا أحد أقدر منه ، ولا مساو له في مقدوره ، عالم بكل شيء على التفصيل ، لا يخفى عليه شيء مما كان أو يكون وما لا يكون ، وما أن لو كان كيف كان يكون ، لا يفعل إلا الأصلح الذي ليس فوقه ما هو أصلح منه في شرف الفعل وما تدعو إليه الحكمة ، الغنى بنفسه عن كل شيء ، لم يزل ولا يزال ، وشيء لا كالأشياء ، لا شبه له ولا نظير ، وهو القديم الأزلي قبل كل شيء ، والباقي بعد فناء كل شيء^(١٥٦).

ف نجد هنا أن الرماني يشير إلى نظرية الصلاح والأصلح التي يقول بها المعتزلة ، والتي تعني - عندهم - أن كل فعل من أفعال الله تعالى لا يخلو من الصلاح والخير ، ف الله لا يفعل بعباده إلا ما فيه صلاحهم ، بل يذهبون إلى القول بأنه - تعالى - لا يقدر أن يعطي عباده أصلح مما أعطاهم ؛ لأنه لو كان عنده أصلح مما أعطاهم ومنعه منهم لكان بخيلاً ظالماً^(١٥٧). وإن كان هذا هذا الكلام - في اعتقادي - فيه نظر .

^(١٥٤) تفسير الطبري : ٦٠٠/١٤

^(١٥٥) ويسمون أصحاب العدل والتوحيد ، ويلقبون بالقدريّة والعدلية . انظر : الملل والنحل أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني - تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل - مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨ م ٤٣/١ ، وعن سبب تسميتهم بهذا الاسم وردت عدة روايات . انظر : في علم الكلام (المعتزلة) - دأحمد محمود صبحي - دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت - الطبعة الخامسة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م ص ١٠٥ وما بعدها .

^(١٥٦) الجامع لعلم القرآن ص: ٣٤٩

^(١٥٧)المعتزلة - زهدي جار الله - الأهلية للنشر والتوزيع - بيروت ١٩٧٤ م ص ١٠٢

وإذا كان الأمر كذلك ، فإنه تعالى - بناء على ما سبق - لا يفعل القبيح ، وهو ما يشير إليه الرماني في جوابه عن سؤال مؤداه : ويقال : لم وجب بإرادة القبح لا تكون إلا قبيحة ؟
الجواب : لأنها داعية إلى القبيح ، وما دعا إلى القبيح قبيح ، كما أن الأمر بالقبيح قبيح ، كما أن إرادة الحسنة لا تكون إلا حسنة ، فلا يجوز أن يقبح لهذه العلة ، فكذا إرادة القبيح لا تكون إلا قبيحة (١٥٨).

والقبح عند المعتزلة هو ما إذا فعله القادر عليه استحق الذم على بعض الوجوه . (١٥٩)
ولعله من نافلة القول أن نشير - في هذا السياق - إلى أن نظرية الحسن والقبح عند المعتزلة ترتبط بمفهوم العدل الإلهي ؛ فالله عالم بقبح القبيح ، وعالم بكونه غنياً عنه ، وكل من كان كذلك امتنع أن يكون فاعلاً للقبح . (١٦٠)
وإذا كان الله تعالى - كما سبق - لا يفعل القبيح ، فهذا يعني أنه لا يكلف عباده ما لا يطيقون ؛ لأن التكليف بما لا يطاق قبيح ، ومن ثم لا يفعله تعالى ، وهذا هو ما ذهب إليه جل المعتزلة ، فالتكليف بما لا يطاق غير جائز على الله عندهم . (١٦١)

التساؤل الخامس عشر

ومن أمثلة ذلك ما ذكره الرماني عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَفْزِرُّ مَنِ اسْتَضَعَّتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمْ مَخِيلُكَ وَرَجَلُكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الإسراء : ٦٤]

قال الرماني - رحمه الله - ويقال : ما الصوت الذي يستفز به ؟
الجواب : فيه قولان :

الأول : صوت الغناء واللهو ، عن مجاهد .

الثاني : الصوت الذي يدعو به إلى معصية الله عز وجل ، عن ابن عباس .
وقيل : كل صوت دعي به إلى الفساد ، فهو من صوت الشيطان . (١٦٢)

(١٥٨) الجامع لعلم القرآن ص ٣٩٦

(١٥٩) انظر شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار بن أحمد - تعليق أحمد بن الحسين بن أبي هاشم - تحقيق د عبد الكريم عثمان - مكتبة وهبة -

الطبعة الثالثة - ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م ص ٤١

(١٦٠) انظر : في علم الكلام (المعتزلة) د أحمد محمود صبحي ص ١٥٥

(١٦١) انظر : شرح الأصول الخمسة القاضي عبد الجبار بن أحمد ص ٥٠٨ ، ٥١٢

(١٦٢) الجامع لعلم القرآن : ص ٣٦٥

وما ذكره الرماني في هذا التساؤل في اختلاف العلماء في الصوت الذي عناه جل ثناؤه بقوله ﴿وَأَسْتَفْزِرُ مَنِ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾ موافق لما ذهب إليه الطبري ، والسمرقندي .^(١٦٣) ، وقد وضح القرطبي معنى بصوتك حيث قال : بوسوستك ، وأضاف قول الضحاك : صَوْتُ الْمِزْمَارِ . وَكَانَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَسْكَنَ أَوْلَادِ هَابِيلَ أَعْلَى الْجَبَلِ ، وَأَوْلَادَ قَابِيلَ أَسْفَلَهُ ، وَفِيهِمْ بَنَاتٌ حِسَانٌ ، فَرَمَزَ اللَّعِينُ فَلَمْ يَتِمَّا لَكُوا أَنْ انْحَدَرُوا فَرَنُوا ذَكَرَهُ الْعَزَنِيُّ .^(١٦٤)

وهناك من نقل عن الرماني مثل الطوسي جميع ما قيل عن الصوت الذي يستفز به ولم ينسب ذلك إليه ، وهذا مما يؤخذ عن الطوسي .^(١٦٥) ، وقد نقل الطبرسي الرأي الأول والثالث عن الرماني ولم ينسب ذلك إليه .^(١٦٦)

وقد ذكر الرازي معنى استفزز في اللغة حيث قال : قوله تعالى : واستفزز من استطعت منهم بصوتك يقال أفزه الخوف واستفزه أي أزعجه واستخفه ، وقد اتفق الرازي مع الرماني في الرأي الأول والثاني .^(١٦٧)

وقد رجح الطبري قائلاً : " وأولى الأقوال في ذلك بالصحة أن يقال : إن الله تبارك وتعالى قال لإبليس : واستفزز من ذرية آدم من استطعت أن تستفزه بصوتك ، ولم يخصص من ذلك صوتاً دون صوت ، فكل صوت كان دعاء إليه وإلى عمله وطاعته ، وخلافاً للدعاء إلى طاعة الله ، فهو داخل في معنى صوته الذي قال الله تبارك وتعالى اسمه له ﴿وَأَسْتَفْزِرُ مَنِ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾ " [الإسراء : من الآية ٦٤] ^(١٦٨)

مما سبق يتضح أنه ذكر اختلاف العلماء في المراد بالصوت الذي أشارت إليه الآية ، وهذا الاختلاف ذكر بعضه أو كله غير واحد من المفسرين كما مر ، بيد أن الرماني لم يرجح أي هذه الأقوال أولى بالصواب ، بخلاف الطبري الذي رجح ، كما ذكرنا سابقاً .

^(١٦٣) تفسير الطبري : ٦٥٧/١٤ ، بحر العلوم : ٢٧٥/٢

^(١٦٤) تفسير القرطبي : ١١٨/١٣

^(١٦٥) التبيان : ٤٩٩/٦

^(١٦٦) مجمع البيان : ٤٢٦/٦

^(١٦٧) مفاتيح الغيب : ٧-٦/٢١

^(١٦٨) تفسير الطبري : ٦٥٨/١٤

التساؤل السادس عشر

ومن أمثلة ذلك ما ذكره الرماني عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ فَمَنْ أُوْفِيَ كِتَابُهُ وَبِإِمامِهِ فَأُولَئِكَ يَفْرَعُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [الأنعام : ٧٨]

يقال : ما الإمام الذي يدعي به كل الناس ؟

الجواب : قيل : إمامه نبيه ، عن مجاهد ، وقتادة . وقيل : كتابهم الذي أنزله الله تعالى إليهم فيه الحلال والحرام والفرائض ، عن ابن زيد . وقيل : بمن كانوا يأتون به في الدنيا ، عن أبي عبيدة . وقيل : الفتيل المفتول الذي في شق النواة ، عن قتادة . (١٦٩)

وما ذكره الرماني في الإجابة عن هذا التساؤل في اختلاف أقوال العلماء في الإمام الذي يدعي به كل الناس ، قد ذكره أيضاً الطبري ، والسمرقندي . (١٧٠)

وقد ذكر السمرقندي الرأي الثالث بعبارة أو معنى آخر ، حيث قال : ويقال بداعيهم الذي دعاهم في الدنيا إلى ضلالة أو هدى، يدعى إمامهم قبلهم .، وأضاف قول أبي العالية حيث قال : وقال أبو العالية: بِإِمامِهِمْ أي بأعمالهم (١٧١) ، واتفق القرطبي مع السمرقندي بأن بِإِمامِهِمْ أي بأعمالهم . (١٧٢)

وقد ذكر الرازي معنى الإمام لغة حيث قال : قوله: بِإِمامِهِمْ الإمام في اللغة كل من انتم به قوم كانوا على هدى أو ضلالة ، فالنبي إمام أمته، والخليفة إمام رعيته، والقرآن إمام المسلمين وإمام القوم هو الذي يقتدى به في الصلاة. (١٧٣)

واتفق الطوسي مع الرماني في القول الأول والثاني والثالث (١٧٤)، لكن نسب القول الثالث لأبي جعفر ، وأبي عبد الله ، وأضاف قول البلخي حيث قال : " وقال البلخي : بما كانوا يعبدونه، ويجعلونه إماماً لهم" .

واتفق الرازي مع الرماني في القول الأول والثاني (١٧٥) ، وذكر قول الحسن ، والربيع ، وأبي العالية حيث قال : " قال الحسن بكتابهم الذي فيه أعمالهم ، وهو قول الربيع وأبي العالية، والدليل

(١٦٩) الجامع لعلم القرآن : ص ٣٧٠

(١٧٠) تفسير الطبري : ١٥٠/٦-٧، بحر العلوم : ٢٧٧/٢، الرأي الثاني عن الحسن

(١٧١) بحر العلوم : ٢٧٧/٢

(١٧٢) تفسير القرطبي : ١٣٠/١٣ ، عن الحسن وأبو العالية ، وابن عباس

(١٧٣) مفاتيح الغيب : ٢١/١٨

(١٧٤) التبيان : ٤/٥٠٤

(١٧٥) مفاتيح الغيب : ٢١/١٨

على أن هذا الكتاب يسمى إماماً قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس : من الآية ١٢] ؛ فسمى الله تعالى هذا الكتاب إماماً " . (١٧٦)

وقد اتفق القرطبي مع الرماني في القول الأول والثاني (عن ابن عباسٍ وَالْحَسَنُ وَقَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ) والثالث ، مع اضافة قول قتادة حيث قال : " وَالْإِمَامُ مَنْ يُؤْتَمُّ بِهِ . فَيُقَالُ : هَآؤُنَا مُتَّبِعِي إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، هَآؤُنَا مُتَّبِعِي مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، هَآؤُنَا مُتَّبِعِي الشَّيْطَانِ ، هَآؤُنَا مُتَّبِعِي الْأَصْنَامِ . فَيَقُومُ أَهْلُ الْحَقِّ فَيَأْخُذُونَ كِتَابَهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ ، وَيَقُومُ أَهْلُ الْبَاطِلِ فَيَأْخُذُونَ كِتَابَهُمْ بِشِمَالِهِمْ . وَقَالَ قَتَادَةُ . ، وقد أضاف القرطبي قول علي حيث قال : وَقَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : بِإِمَامٍ عَصَرِهِمْ . وقد أضاف القرطبي بمذاهبهم حيث قال : وَقِيلَ : بِمَذَاهِبِهِمْ ، فَيَذَعُونَ بِمَنْ كَانُوا يَأْتُمُونَ بِهِ فِي الدُّنْيَا : يَا حَنْفِي ، يَا شَافِعِي ، يَا مُعْتَزِّلِي ، يَا قَدْرِي ، وَنَحْوَهُ ، فَيَنْبَغُونَهُ فِي خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ أَوْ عَلَى حَقٍّ أَوْ بَاطِلٍ ، وهذا معنى قوله أَبِي عُبَيْدَةَ " . (١٧٧)

وقد اتفق الإمام أبو زهرة في القول الثالث مع الرماني . (١٧٨)

وقد نقل الرازي قول الزمخشري حيث قال : قال صاحب «الكشاف» ومن بدع التفاسير أن الإمام جمع أم، وأن الناس يدعون يوم القيامة بأسمائهم، وأن الحكمة في الدعاء بالأسماء دون الآباء رعاية حق عيسى وإظهار شرف الحسن والحسين، وأن لا يفتضح أولاد الزنا ، ثم قال صاحب «الكشاف» وليت شعري أيهما أبداع ، أصحة لفظه أم بيان حكمته . ﴿فَمَنْ أَوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ قال صاحب «الكشاف» : إنما قال أولئك ؛ لأن من أوتي في معنى الجمع . (١٧٩)

وقد ذكر الرازي القول الرابع للرماني والفتيل القشرة التي في شق النواة ، وسمي بهذا الاسم ؛ لأنه إذا أراد الإنسان استخراجها انفتل، وهذا يضرب مثلا للشيء الحقيق التافه ، ومثله القطمير والنقير في ضرب المثل به ، والمعنى لا ينقصون من الثواب بمقدار فتيل ونظيره قوله : ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [مريم : من الآية ٦٠] ، : ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه : من الآية ١١٢] ، وقد أضاف الرازي في معنى الفتيل رواية مجاهد عن ابن عباس حيث قال : " وروى مجاهد عن ابن

(١٧٦) المرجع السابق نفسه ، عن الضحاك وابن زيد

(١٧٧) تفسير القرطبي : ١٣٠/١٣ - ١٣١

(١٧٨) زهرة التفاسير : ٤٤٢٧/٨

(١٧٩) مفاتيح الغيب : ١٨/٢١ - ١٩ ، وانظر الكشاف : ص ٦٠٤

عباس أنه قال : الفتيل هو الوسخ الذي يظهر بقتل الإنسان إبهامه بسببته ، وهو فعيل من القتل بمعنى مقتول .^(١٨٠)

وقد رجح الطبري الرأي الثالث حيث قال : وأولى هذه الأقوال عندنا بالصواب، قول من قال: معنى ذلك: يوم ندعو كل أناس بإمامهم الذي كانوا يقتدون به، ويأتون به في الدنيا ؛ لأن الأغلب من استعمال العرب الإمام فيما ائتم واقتدي به . ومال إلى هذا الرأي أبو زهرة .^(١٨١)

مما سبق يتضح أن ما ذكره الرماني في هذا التساؤل موافق لما ذهب إليه الطبري ، والسمرقندي، وقد اتفق الطوسي ، والقرطبي في الرأي الأول والثاني والثالث مع الرماني ، وذكر الرازي الرأي الأول والثاني والرابع ، وإن كان الطبري رجح بأن الإمام هو الذي كانوا يقتدون به، ويأتون به في الدنيا .

التساؤل السابع عشر

ومن أمثلة ذلك ما ذكره الرماني عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء : ٨٢]

قال الرماني : يقال : من أي وجه وصف القرآن بأنه شفاء ؟
الجواب : من جهات .

منها : ما فيه من البيان الذي يزيل عمي الجهل وحيرة الشك .
ومنها : أنه برهان من جهة التأليف والنظم ، على أنه معجز ، يدل على صدق من أتى به .
ومنها : ما يتبرك به فيدفع الله به كثيراً من المكاره والمضار ، على ما يصح ويجوز في مقتضى الحكمة .

ومنها : ما في العبادة بتلاوته من الصلاح الداعي إلى أمثاله ، بالمشكلة التي بينه وبينه .^(١٨٢)
وما ذكره الرماني في الجواب عن هذا التساؤل موافق لما ذهب إليه الطبري في الرأي الأول وذكر السبب حيث قال : يقول تعالى ذكره: ونزل عليك يا محمد من القرآن ما هو شفاء يستشفى به من الجهل من الضلالة، ويبصر به من العمى للمؤمنين ورحمة لهم دون الكافرين به ؛ لأن المؤمنين يعملون بما فيه من فرائض الله، ويحلون حلاله، ويحرمون حرامه فيدخلهم بذلك الجنة، وينجيهم من عذابه، فهو لهم رحمة ونعمة من الله، أنعم بها عليهم ، وأضاف قول قتادة في قوله:

^(١٨٠) مفاتيح الغيب : ١٩/٢١

^(١٨١) تفسير الطبري : ٨/١٥ ، زهرة التفاسير : ٤٤٢٧/٨

^(١٨٢) الجامع لعلم القرآن: ص ٣٨٠

﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: من الآية ٨٢] إذا سمعه المؤمن انتفع به وحفظه ووعاه . (١٨٣)

وقد نقل الطوسي والطبرسي عن الرماني جميع الأقوال دون نسبتها إليه (١٨٤)، إلا أن الطبرسي أضاف وجهاً من وجوه الشفاء حيث قال : و منها : ما فيه من أدلة التوحيد و العدل و بيان الشرائع و الأمثال و الحكم. (١٨٥)

وقد اتفق القرطبي مع الرأي الأول للرماني (١٨٦) .

وقد وضع الرازي بأن القرآن شفاء من الأمراض الروحانية، وشفاء أيضاً من الأمراض الجسمانية حيث قال : " فجميع القرآن شفاء للمؤمنين، واعلم أن القرآن شفاء من الأمراض الروحانية، وشفاء أيضاً من الأمراض الجسمانية، أما كونه شفاء من الأمراض الروحانية فظاهر، وذلك لأن الأمراض الروحانية نوعان: الاعتقادات الباطلة والأخلاق المذمومة، أما الاعتقادات الباطلة فأشدها فساداً الاعتقادات الفاسدة في الإلهيات والنبوات والمعاد والقضاء والقدر، والقرآن كتاب مشتمل على دلائل المذهب الحق في هذه المطالب، وإبطال المذاهب الباطلة فيها، ولما كان أقوى الأمراض الروحانية هو الخطأ في هذه المطالب والقرآن مشتمل على الدلائل الكاشفة عما في هذه المذاهب الباطلة من العيوب الباطنة لا جرم كان القرآن شفاء من هذا النوع من المرض الروحاني. وأما الأخلاق المذمومة فالقرآن مشتمل على تفصيلها وتعريف ما فيها من المفساد والإرشاد إلى الأخلاق الفاضلة الكاملة والأعمال المحمودة فكان القرآن شفاء من هذا النوع من المرض فثبت أن القرآن شفاء من جميع الأمراض الروحانية، وأما كونه شفاء من الأمراض الجسمانية فلأن التبرك بقراءته يدفع كثيراً من الأمراض. ولما اعترف الجمهور من الفلاسفة وأصحاب الطلسمات بأن لقراءة الرقى المجهولة والعزائم التي لا يفهم منها شيء آثاراً عظيمة في تحصيل المنافع ودفع المفساد، فلأن تكون قراءة هذا القرآن العظيم المشتمل على ذكر الله وكبريائه وتعظيم الملائكة المقربين وتحقير المردة والشياطين سبباً لحصول النفع في الدين والدنيا كان أولى

(١٨٣) تفسير الطبري: ٦٢/١٥ - ٦٣

(١٨٤) البيان للطوسي : ٥١٣/٦ ، جمع البيان للطبرسي : ٤٣٦/٦

(١٨٥) جمع البيان : ٤٣٦/٦

(١٨٦) تفسير القرطبي : ١٣/١٥٦

ويتأكد ما ذكرنا بما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله تعالى»^(١٨٧) وقد ذكر الرأي الثالث للرماني في ثنايا الكلام.^(١٨٨)

وقد اتفق القرطبي مع الرازي في أنه شفاء من الأمراض الظاهرة ، كالرقي والتعوذ ، وذكر حديثاً على ذلك حيث قال : شَفَاءٌ مِنَ الْأَمْرَاضِ الظَّاهِرَةِ بِالرَّقَى وَالتَّعَوُّذِ وَنَحْوِهِ . وَقَدْ رَوَى الْأَيْمَةُ - وَاللَّفْظُ لِلدَّارِقُطْنِيِّ - عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ : بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَرِيَّةٍ ثَلَاثِينَ رَاكِبًا قَالَ : فَتَزَلْنَا عَلَى قَوْمٍ مِنَ الْعَرَبِ فَسَأَلْنَاهُمْ أَنْ يُصَيِّفُونَا فَأَبَوْا ، قَالَ : فَلَدَغَ سَيِّدُ الْحَيِّ ، فَأَتَوْنَا فَقَالُوا : فِيكُمْ أَحَدٌ يَرْقِي مِنَ الْعُقَرِ؟ فِي رِوَايَةِ ابْنِ قَتَّةَ : إِنَّ الْمَلِكَ يَمُوتُ . قَالَ : قُلْتُ أَنَا نَعَمْ ، وَلَكِنْ لَا أَفْعَلُ حَتَّى تُعْطُونَا . فَقَالُوا : فَإِنَّا نُعْطِيكُمْ ثَلَاثِينَ شَاةً . قَالَ : فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ " الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ " سَبْعَ مَرَّاتٍ فَبَرَأَ . فِي رِوَايَةِ سُلَيْمَانَ بْنِ قَتَّةَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ : فَأَفَاقَ وَبَرَأَ . فَبَعَثَ إِلَيْنَا بِالنُّزْلِ وَبَعَثَ إِلَيْنَا بِالشَّاءِ ، فَأَكَلْنَا الطَّعَامَ أَنَا وَأَصْحَابِي وَأَبَوْا أَنْ يَأْكُلُوا مِنَ الْغَنَمِ ، حَتَّى أَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ الْخَبَرَ فَقَالَ : " وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقِيَّةٌ " قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، شَيْءٌ أَلْقَيْ فِي رُوعِي . قَالَ : " كُلُوا وَاطْعَمُونَا مِنَ الْغَنَمِ " ^(١٨٩) .

مما سبق يتضح أن ما ذكره الرمانى في الجواب عن هذا التساؤل يتلخص فيما يلي :

- ١- اتفق الطبري والقرطبي مع الرمانى في الرأي الأول .
- ٢- نقل الطوسي والطبرسي عن الرمانى جميع الأقوال دون نسبتها إليه .
- ٣- وضع الرازي بأن القرآن شفاء من الأمراض الروحانية، وشفاء أيضاً من الأمراض الجسمية.
- ٤- اتفق القرطبي مع الرازي في أنه شفاء من الأمراض الظاهرة ، كالرقي والتعوذ ، وذكر حديثاً على ذلك . وإن كنت أرى أن القرآن شفاء لكل الأمراض الروحانية والجسمية ، كما ذهب إليه الرازي .

التساؤل الثامن عشر

ومن أمثلة ذلك ما ذكره الرمانى عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيًَّا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّا وَلَهُمْ جَهَنَّمَ كُلًّا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾ [الإسراء : من الآية ٩٧]

قال الرمانى : ويقال : لم قيل : ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيًَّا وَبُكْمًا وَصُمًّا ﴾ مع قوله جل وعز : ﴿ وَرَعَا الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا ﴾ [الكهف : من الآية ٥٣] وقوله : ﴿

⁽¹⁸⁷⁾ أخرجه الألباني - السلسلة الضعيفة والموضوعة ٢٨٥/١ - حديث رقم ١٥٣ ، قال الألباني : حديث موضوع

⁽¹⁸⁸⁾ مفاتيح الغيب : ٣٥/٢١

⁽¹⁸⁹⁾ تفسير القرطبي : ١٥٦/١٣ - ١٥٧ ، والحديث أخرجه الدارقطني - سنن الدارقطني - كتاب البيوع ٦٦٦/٢ - ٦٦٧ - حديث رقم ٣٠٠٤

سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿ [الْفُرْقَان : من الآية ١٢] وقوله عز وجل : ﴿ دَعَا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴾ [الْفُرْقَان : من الآية ١٣] ؟

الجواب : فيه وجهان .

الأول : إنهم يحشرون على تلك الصفة ، ثم يجعلون يبصرون ويسمعون وينطقون .

الثاني : إنهم عمي عما يسرهم ، بكم عن التكلم بما ينفعهم ، عن ابن عباس ، والحسن . (١٩٠)

وهو عين ماذهب إليه الطبري . (١٩١) وقد نقل الطوسي والطبرسي عن الرماني ذلك المعنى

دون نسبته إليه ، لكن أضافا : صم عما يمتعهم (١٩٢) ، ولقد وضع الطبرسي صماً عما يمتعهم ، عن ابن عباس أي كأنهم عدموا هذه الجوارح ، وقيل يحشرون على هذه الصفة عمياً كما عموا عن الحق في دار الدنيا ، بكماء جزاء على سكوتهم عن كلمة الإخلاص ، و صماً لتركهم سماع الحق و إصغائهم إلى الباطل . (١٩٣)

ونقل الرازي ونحشروهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً ، فإن قيل كيف يمكنهم المشي على وجوههم ؟ قلنا الجواب من وجهين : الأول: إنهم يسحبون على وجوههم ، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ [الْقَمَر : من الآية ٤٨] .

الثاني: روى أبو هريرة : قيل يا رسول الله كيف يمشون على وجوههم؟ قال: " إن الذي يمشيهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم" (١٩٤) ، قال حكماء الإسلام الكفار أرواحهم شديدة التعلق بالدنيا ولذاتها ، وليس لها تعلق بعالم الأبرار وحضرة الإله سبحانه وتعالى ، فلما كانت وجوه قلوبهم وأرواحهم متوجهة إلى الدنيا لا جرم كان حشرهم على وجوههم. (١٩٥) ، واتفق الرازي مع الرماني في الرأي الأول والثاني ، وأضاف رواية عطاء عمياً عن النظر إلى ما جعله الله لأوليائه ، بكماء عن مخاطبة الله ومخاطبة الملائكة المقربين ، صماً عن ثناء الله تعالى على

(١٩٠) (الجامع لعلم القرآن: ص ٣٩١- ٣٩٢)

(١٩١) تفسير الطبري : ٩٣/١٥- ٩٤

(١٩٢) التبيان : ٥٢٤/٦ ، مجمع البيان : ٤٤٢/٦

(١٩٣) مجمع البيان : ٤٤٢/٦

(١٩٤) أخرجه الترمذي - الجامع الكبير - أبواب تفسير القرآن - باب ومن سورة بني إسرائيل ٢٠٩/٥ - حديث رقم ٣١٤٢ ، قال الترمذي : هذا

حديث حسن

(١٩٥) مفاتيح الغيب: ٦١/٢١- ٦٢

أوليائه. الثالث: قال مقاتل إنه حين يقال لهم: ﴿أَخْسَوْا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون : ١٠٨] يصيرون عمياً بكمأً صمأً، أما قبل ذلك فهم يرون ويسمعون وينطقون.^(١٩٦)

وقد أضاف الطبرسي والقرطبي قول مقاتل كالرازي^(١٩٧)، واتفق القرطبي مع الرمانى ، لكنه أضاف : وَقِيلَ: عَمُوا حِينَ دَخَلُوا النَّارَ لِشِدَّةِ سَوَادِهَا^(١٩٨) ، وقد نقل أبو زهرة الرأى الثانى للرمانى .^(١٩٩)

مما سبق يتضح أن هناك اختلافاً بين ممن ذكرنا من المفسرين في تفسير قوله تعالى : ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيًَّا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ وإن كان - في ظني - أن المعاني كلها متقاربة ، تحتل كل ما ذكره المفسرون ، من المراد بكيفية حشرهم على وجوههم عمياً وبكماً وصمأً .

^(١٩٦) مفاتيح الغيب: ٦٢/٢١

^(١٩٧) مجمع البيان : ٤٤٢/٦ ، تفسير القرطبي : ١٧٩/١٣

^(١٩٨) تفسير القرطبي : ١٧٩/١٣

^(١٩٩) زهرة التفاسير : ٤٤٦٣ / ٨

الخاتمة

بعد هذا العرض ، أود أن أذكر أهم النتائج التي توصلت إليها ، والتي تتلخص فيما يلي :
أولاً : يعتمد الرماني في تفسيره على السؤال والجواب ، شأنه في ذلك شأن بعض المفسرين ، وإن كان الرماني يعتمد في ذلك على صيغة واحدة وهي : (ويقال) ثم يذكر في الجواب قوله : (والجواب) .

ثانياً : اتضح من خلال هذه الدراسة أن الرماني كان يعتمد على الأحاديث في تفسيره ، وإن كان ذلك في مواضع قليلة .

ثالثاً : يعتمد الرماني أيضاً في بعض المواضع على أقوال بعض الصحابة والتابعين .

رابعاً : يعتمد أيضاً على اللغة ، سواء البلاغة أو النحو أو الشعر العربي .

خامساً : في بعض المواضع أيضاً ، وجدت أن الرماني يعتمد على القراءات ، سيما القراءات المشهورة .

سادساً : من خلال هذه الدراسة تبين أيضاً أن الرماني يذكر في بعض المواضع مناسبة الآية بما قبلها ، مع ذكر ما تتضمنه الآيات من فوائد ومعاني .

سابعاً : في هذا التفسير تتجلى شخصية الرماني ، حيث وجدناه يرجح في بعض المواضع بين الآراء ، مستشهداً على ذلك بالأدلة .

ثامناً : اتضح من خلال هذه الدراسة أن هناك بعض المفسرين أمثال الطوسي والطبرسي ينقلون عن الرماني بعض الأقوال دون أن ينسبوها إليه .

تاسعاً : تتجلى عقيدة الرماني الاعتزالية في تفسيره ، فهو ينتمي إلى مدرسة المعتزلة الكلامية ، وهو ما ظهر جلياً من خلال اعتماده على أقوالهم في كثير من المسائل .

عاشراً : في كثير من المواضع التي عرض لها الرماني، نجد أن ثمة اتفاقاً بينه وبين غيره من المفسرين ، سواء السابقين أو اللاحقين أو المعاصرين له .

التوصيات :

أعتقد أن تفسير الرماني في حاجة إلى أكثر من دراسة ، سواء في المجال اللغوي ، أو في مجال العقيدة ، أو من خلال دراسة بعض قضايا علوم القرآن التي عرض لها في تفسيره ، للكشف عن قيمة هذا التفسير وقيمة صاحبه .

المصادر والمراجع:-

- ١- الاتقان في علوم القرآن : للسيوطي - خرج الأحاديث شعيب الأرئوط - وعلق عليه مصطفى شيخ مصطفى - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م
- ٢- الأعلام : خير الدين الزركلي - دار العلم للملايين - بيروت - لبنان - الطبعة الخامسة عشرة ٢٠٠٢
- ٣- الأنساب - للسمعاني - تقديم وتعليق عبدالله عمر البارودي - دار الجنان - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م
- ٤- بحر العلوم : للسمرقندي - تحقيق وتعليق الشيخ علي محمد معوض وآخرين - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م
- ٥- البرهان في علوم القرآن: للزركشي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - مكتبة دار التراث - القاهرة
- ٦- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة - جلال الدين السيوطي - تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم - الطبعة الأولى ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥ م
- ٧- تاريخ بغداد - للخطيب البغدادي - حققه ، وضبط نصه ، وعلق عليه الدكتور بشار عواد معروف - دار الغرب الإسلامي - الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م
- ٨- التبيان - للطوسي - تحقيق وتصحيح أحمد حبيب قصير العاملي - دار الأندلس بيروت
- ٩- التحرير والتنوير: لابن عاشور - الدار التونسية للنشر - تونس - ١٩٨٤ م
- ١٠ - التفسير الوسيط للقرآن الكريم - للدكتور محمد سيد طنطاوي - مراجعة عبدالرحمن العدوي - دار المعارف ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م
- ١١- جامع البيان عن تأويل أي القرآن : للطبري - تحقيق الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر - الدكتور عبد السند حسن يمامة - الطبعة الأولى- القاهرة ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م
- ١٢- الجامع الكبير للترمذي - حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه الدكتور بشار عواد معروف - دار الغرب الإسلامي - بيروت - الطبعة الأولى ١٩٩٦ م
- ١٣- الجامع لأحكام القرآن : للقرطبي - تحقيق الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي - شارك في تحقيق الجزء الثالث عشر محمد أنس مصطفى الخن - محمد معتز كريم الدين - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م
- ١٤- الجامع لعلم القرآن -لأبي الحسن الرماني - جمع ودراسة وتحقيق الدكتور خضر محمد نبها - تقديم الدكتور رضوان السيد - دار الكتب العلمية

- ١٥- الحجة في القراءات السبع - للإمام ابن خالويه- تحقيق وشرح د. عبد العال سالم مكرم - دار الشروق بيروت - الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م
- ١٦- زهرة التفاسير - محمد أبو زهرة - دار الفكر العربي
- ١٧- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة - تأليف محمد ناصر الألباني - مكتبة المعارف - الرياض - الجزء الأول الطبعة الأولى للطبعة الجديدة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، الجزء الثالث الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ، الجزء الرابع عشر الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ
- ١٨- سنن أبي داود : حقق الجزء الرابع وضبط نصه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرناؤوط - محمد كامل قره بللي - دار الرسالة العالمية- ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩
- ١٩- سنن الدار قطني- للإمام علي بن عمر الدار قطني -حققه وعلق عليه عادل أحمد عبد الموجود-علي محمد معوض - دار المعرفة - بيروت- لبنان - الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م
- ٢٠- سير أعلام النبلاء - للذهبي - أشرف على تحقيق الكتاب وخرج أحاديثه شعيب الأرناؤوط - حقق الجزء السادس عشر أكرم البوشي - مؤسسة الرسالة - الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م
- ٢١- شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار بن أحمد - تعليق أحمد بن الحسين بن أبي هاشم - تحقيق د عبد الكريم عثمان - مكتبة وهبة - الطبعة الثالثة - ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م
- ٢٢-صحيح البخاري - تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر - دار طوق النجاة - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ
- ٢٣- صحيح سنن أبي داود - للإمام الحافظ سليمان بن الأشعث السجستاني - تأليف محمد ناصر الدين الألباني - مكتبة المعارف - الرياض - الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م
- ٢٤- صحيح مسلم - وقف على طبعه وتحقيق نصوصه وتصحيحه وترقيمه وعد كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلق عليه ملخص شرح الإمام النووي ، مع زيادات من أئمة اللغة خادم الكتاب والسنة محمد فؤاد عبدالباقى - الجزء الأول دار إحياء الكتب العربية - دار الكتب العلمية بيروت - لبنان - الجزء الرابع دار الحديث القاهرة الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩١م
- ٢٥- في علم الكلام (المعتزلة) - دأحمد محمود صبحي - دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت - الطبعة الخامسة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م
- ٢٦- كتاب السبعة في القراءات - لابن مجاهد - تحقيق د شوقي ضيف - دار المعارف بمصر
- ٢٧- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : للزمخشري - اعتنى به وخرج أحاديثه وعلق عليه خليل مأمون شيحا ، وعليه تعليقات كتاب (الانتصاف) فيما تضمنه الكشف

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد - مجلة علمية محكمة- العدد التاسع عشر (الجزء الثاني)

- من الاعتزال - للإمام ناصر الدين ابن منير المالكي - دار المعرفة - بيروت - لبنان الطبعة الثالثة ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م
- ٢٨- اللباب في علوم الكتاب - لابن عادل الدمشقي- تحقيق وتعليق عادل أحمد عبد الموجود وآخرين - منشورات محمد علي بيضون - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م
- ٢٩- لسان العرب : ابن منظور - دار صادر بيروت
- ٣٠ - مجمع البيان في تفسير القرآن - للطبرسي- مطبعة العرفان- صيدا- سوريا-١٣٥٥هـ- ١٩٣٦ م
- ٣١- مجمل اللغة - لأبي الحسين أحمد بن فارس - دراسة وتحقيق زهير عبدالمحسن سلطان - مؤسسة الرسالة - الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م
- ٣٢- مختار الصحاح: للإمام محمد بن أبي بكر الرازي ، مكتبة لبنان بيروت ١٩٨٦ م
- ٣٣- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: للرافعي - تحقيق الدكتور عبدالعظيم الشناوي - الطبعة الثانية - دار المعارف
- ٣٤- المعتزلة - زهدي جار الله - الأهلية للنشر والتوزيع - بيروت ١٩٧٤ م
- ٣٥- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) للرازي - دار الفكر - الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م
- ٣٦- مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس- تحقيق وضبط عبدالسلام محمد هارون-دار الفكر
- ٣٧- الملل والنحل أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني- تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل- مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨ م
- ٣٨- مناهل العرفان في علوم القرآن : للشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني - مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه- الطبعة الثالثة ١٣٦٢ هـ - ١٩٤٣
- ٣٩- نزهة الألباء في طبقات الأدباء - لأبي البركات ابن الأنباري - تحقيق د إبراهيم السامرائي - مكتبة المنار - الأردن - الزرقاء - الطبعة الثالثة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م
- ٤٠- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار - للإمام مجد الدين ابن تيمية - تأليف الإمام الشوكاني محمد بن علي بن محمد الصنعاني - وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية
- ٤١- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان - لأبي العباس شمس الدين بن خلكان - حققه الدكتور إحسان عباس - دار صادر بيروت